نَسِيتُ
أَنْ أُحِبَّ نَفْسي

مارينا روماني

رواية

نسيت أن أحب نفسي

بقلم: مارينا روماني

إهداء...

«لولا هذه الرواية... لما أحببتُ نفسي يومًا.

أهديها إلى كل من نسي أن يحب نفسه.»

الفصل الاول

كانت تجلس على سريرها، غارقةً في شرودٍ عميق، حتى بدا العالم من حولها صامتًا. لم تكن تسمع ضجيج الشارع المتسلل من النافذة، ولا أصوات أفراد عائلتها المتناثرة في أرجاء المنزل؛ فقد كانت غارقةً في صخبٍ آخر، صخبٍ لا يُسمَع إلا داخل الروح.

ظلّت على حالها طويلًا، تحدّق في الفراغ كأنها تبحث فيه عن إجابةٍ أخفتها الأيام. ثم أمسكت هاتفها، وفي لحظةٍ خاطفة، نهضت وكأنها حسمت صراعًا استنزفها طويلًا. فتحت حقيبتها، رتّبت فيها بعض حاجياتها بصمتٍ مريب، ثم غادرت متجهةً إلى المطار.

ولم يكن رحيلها مفاجئًا لأحد؛ فقد اعتادت عائلتها منذ زمنٍ اندفاعاتها غير المتوقعة، وقراراتها التي كانت تتخذها بقلبها قبل عقلها، وكأنها خُلقت لتسير في الطرق التي لا يجرؤ غيرها على سلوكها.

وعندما وصلت إلى المطار، صعدت إلى الطائرة واستقرت في مقعدها دون أن تلتفت إلى أحد، وكأن من حولها لم يكونوا سوى أطيافٍ عابرة. وضعت غطاء العينين، وما هي إلا لحظات حتى غاصت في نومٍ عميق، كنوم من حُرم الراحة طويلًا.

استسلمت للنوم سريعًا، لا لأنها كانت متعبة فحسب، بل وكأنها كانت تهرب إليه من شيءٍ يلاحقها في يقظتها، أو تلجأ إليه بحثًا عن مساحةٍ تبقى فيها وحدها؛ بعيدةً عن الأسئلة، وعن العالم، وعن كل ما لا تريد مواجهته.

وعندما استيقظت، تنفست ببطء، وأغمضت عينيها للحظة، ثم راحت تحدّث نفسها بنبرةٍ لم يسمعها سواها:

«الحمد لله... أخيرًا ابتعدت. لعلني أرتاح قليلًا، ولعلهم يرتاحون مني أيضًا. لن أسمع بعد اليوم: "عريس ممتاز، لماذا رفضته؟"، أو "العمر يمضي"، أو "أختكِ رنا بعدك"، ولا ذلك السؤال الذي صار يطاردني في كل مناسبة: "لماذا لم تتزوجي بعد؟"

أيعقل أنني وصلتُ إلى مرحلةٍ كرهتُ فيها كل ما كنتُ أعدّه يومًا نعمة؟ كرهتُ جمالي، وهدوئي، وأدبي، وحسن تربيتي، وعائلتي الطيبة، وسمعتي الحسنة... بل كرهتُ كل صفةٍ كانت تجعل الآخرين يرونني "عروسًا مثالية".

كان بعضهم يلقبني بـ"*Pretty Rena*"، وكأن ذلك مدعاةٌ للفخر، بينما لم يكن بالنسبة إليّ سوى عبءٍ جديد يُضاف إلى قائمة التوقعات التي أثقلتني.

أصبحتُ أكره كل ما كان يجذب الخطّاب إليّ. لماذا أنا؟ لماذا لا يطرقون بابًا غير بابي؟ لماذا يرون فيَّ مشروع زواج قبل أن يروا إنسانةً لها قلب، وأحلام، واختيارات؟ هل لأن شعري بني، وعينَيَّ بنيتان، ولأنني أنتمي إلى عائلة محترمة، وتلقيت تربيةً حسنة، وأحمل شهادةً جامعية، وأبدو كما يتمنون أن تكون "الزوجة المناسبة"؟

يا للمفارقة... كم يبدو الأمر مضحكًا ومبكيًا في آنٍ واحد!»

ابتسمت في سرها ابتسامةً قصيرة، لكنها كانت أقرب إلى الانكسار منها إلى الفرح.

ثم رفعت رأسها، وكان في عينيها يقينٌ لا يعرف التردد، ثم قالت بصوتٍ هادئٍ لكنه حاسم:

«لا أريد أن أتزوج بهذه الطريقة التقليدية. فهؤلاء الذين يطرقون بابي لا يعرفونني حقّ المعرفة، ولم يحاولوا يومًا أن يكتشفوا من أكون. لا يعرفون شخصيتي، ولا أفكاري، ولا أحلامي، ولا ما أحب، ولا ما أطمح إليه في هذه الحياة.

بعضهم يأتي لأن الناس أثنوا على أخلاقي، أو لأن أهلي أصحاب سيرةٍ طيبة وسمعةٍ حسنة، وآخرون يأتون لأنهم أعجبوا بملامحي أو بجمالي. وهناك من ينجذب إلى ما يسمعه من مدح الآخرين، وكأن كلمات الناس تكفي ليبني عليها قرارًا مصيريًا كقرار الزواج.

لكن كل ذلك لا يكفيني، بل أرفضه تمامًا.

فالجمال نعمة، لكنه ليس الشيء الذي يبقى إلى الأبد. ستأتي الأيام بما تحمله من تغيرات، وسيترك العمر أثره على الملامح، وربما يغيّر الحمل والولادة ملامح الجسد أيضًا. فهل يبقى ذلك الإعجاب إذا كان قائمًا على الشكل وحده؟ أم يتحول إلى فتورٍ ونفور؟ لهذا أخشى كل حبٍّ يبدأ بالعين وحدها، ولا يصل إلى القلب والروح.

وكذلك لا أؤمن بمن يجعل كلام الناس مقياسًا لاختياراته. فالناس يمدحون اليوم، وقد يذمون غدًا، وآراؤهم تتبدل كما تتبدل الأيام، أما الحياة الزوجية فتُبنى على المعرفة الحقيقية والثقة والصدق، لا على الأحاديث والانطباعات.

إنني أريد رجلًا يأتي من أجلي أنا... من أجل رينا، لا من أجل اسمي، ولا سمعة عائلتي، ولا شهاداتي، ولا مظهري، ولا أي شيءٍ يحيط بي. أريده أن يبحث عن روحي قبل وجهي، وعن عقلي قبل صورتي، وعن قلبي قبل كل شيء.

أريده أن يحبني كما أنا، بكل ما فيَّ من قوةٍ وضعف، ومن أحلامٍ ومخاوف، وأن أختاره بالطريقة نفسها؛ فأريده لأنه هو، لا لأنه الخيار الذي فرضته العادات أو رشحه الآخرون.

أحلم بعلاقةٍ يكون فيها قلبان ينبضان بالمحبة نفسها، وروحان تتعلمان الحياة معًا، حتى يصبحا كأنهما روحٌ واحدة في جسدين، يجمعهما التفاهم قبل أي شيء، وتحفظهما المودة والرحمة قبل كل اعتبار.

أما الزيجات التي تبدأ دون معرفةٍ حقيقية، ثم تُترك للمصادفات بعد ذلك، فكثيرًا ما تنتهي بخلافاتٍ متراكمة، ونزاعاتٍ مؤلمة، وربما بمحاكم وطلاقٍ كان يمكن تجنبه لو بُني الاختيار منذ البداية على التوافق الحقيقي. ولست أريد

أن أكون فصلًا جديدًا في قصةٍ حزينة أقرأ تفاصيلها كل يوم عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

أنا لا أبحث عن زواجٍ فحسب، بل أبحث عن حياةٍ هادئة، أعيش فيها بطمأنينة، وأستمتع بكل مرحلةٍ من عمري، وأرى روحي تزدهر، وقلبي مطمئنًا، وجسدي معافًى، ومستقبلي ينمو مع إنسانٍ اختارني لذاتي، واخترته لذاته.

فالحب الحقيقي، في نظري، ليس أن يجد الإنسان شخصًا جميلًا فحسب، بل أن يجد الروح التي يشعر معها بأنه وصل إلى وطنه، وأن يكون كلٌّ منهما للآخر اختيارًا صادقًا، لا مجرد مصادفةٍ فرضتها التقاليد أو كلمات الناس.

ثم ابتسمت ابتسامةً هادئة، وكأنها كانت تحدث قلبها قبل أن تحدث نفسها، وقالت:

«لا يشغلني كثيرًا أن يكون لنا أبناء، مع أنني، في أعماقي، أتمنى أن يبقى معي أثرٌ منه، قطعةٌ صغيرة تجمع بين روحي وروحه، تحمل شيئًا من ملامحه وشيئًا من ملامحي، وتكون شاهدًا على قصة حبٍ جمعت بين قلبين اختارا بعضهما بإرادتهما.

ومع ذلك، أدرك أنه قد لا يشاركُني هذه الأمنية، وربما يرفضها رفضًا قاطعًا. قد يرى أن الزمن قد مضى، وأنه تجاوز المرحلة التي يفكر فيها بإنجاب الأطفال، فهو يبدو

في نظر الآخرين رجلًا تجاوز الخمسين، بينما أقف أنا في مطلع الثلاثين.

لكن الحقيقة أنني لا أرى الأمر بهذه الصورة أبدًا.

فالسن، في نظري، ليس إلا رقمًا يُدوَّن في بطاقة الهوية، لا أكثر. إنه لا يقيس نضج الإنسان، ولا يختصر روحه، ولا يحدد قدرته على الحب، ولا يصنع سعادته. كم من شابٍ أنهكه العمر قبل أوانه، وكم من إنسانٍ تجاوز الخمسين وما زال يحمل في قلبه شغف العشرين، ونقاء البدايات، ولهفة اللقاء.

إن ما يمنح الحياة معناها ليس عدد السنوات التي عشناها، بل ما امتلأت به تلك السنوات من حب، وما حققناه فيها من نجاح، وما تشاركناه من أحلام، وما صنعناه معًا من ذكريات.

أما الأعوام التي تمر بلا محبة، ولا هدف، ولا دفء، فهي ليست إلا أرقامًا تُضاف إلى سجل العمر، لكنها لا تُضاف إلى سجل الحياة.

أنا لا أعدّ العمر بما تقوله التقويمات، بل بما يمنحه القلب من نبض. فكل يومٍ نعيشه بمحبةٍ صادقة هو حياةٌ كاملة، وكل عامٍ يمضي بلا روح ولا معنى ليس سوى وقتٍ عابر لا يترك في الذاكرة إلا فراغًا.

ولهذا، إذا وجدت الإنسان الذي أحببته بصدق، فلن أسأل عن عمره، ولن ألتفت إلى ما تقوله الأرقام. سألتفت إلى قلبه، وإلى روحه، وإلى الأمان الذي أشعر به بقربه. فالحب لا يعرف عمرًا، والروح لا تُقاس بالسنوات، وإنما بما تستطيع أن تمنحه من حياة لمن تحب.»

ثم سكتت لحظة، وكأنها كانت تفتش بين كلماتها عن الحقيقة التي تؤمن بها، قبل أن تقول بهدوءٍ امتزج بالثقة:

«أنا أحب أن أعيش سنوات عمري ممتلئة بالنجاح، تمامًا كما أسعى كل يوم إلى أن أحقق أحلامي، وأتقدم خطوةً نحو أهدافي، وأصنع لنفسي حياةً أفتخر بها. وبقدر ما أعشق النجاح، أعشق الحب أيضًا، وأؤمن أنه يستحق أن يُعاش بكل صدقٍ وامتلاء.

لهذا، لا يشغلني كثيرًا العمر، ولا المؤهل الدراسي، ولا المكانة الاجتماعية، ولا غيرها من الأمور التي يراها كثيرون أولويات لا غنى عنها. بالنسبة إليّ، قد تكون مجرد قوائم ومتطلبات يتداولها الناس، كما يتداولون عشرات الآراء والمنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي، دون أن تكون بالضرورة حقيقةً تناسب الجميع.

أقرأ كثيرًا من تلك الكتابات، وأحترم حق أصحابها في التعبير عن آرائهم، لكنها لا تشبهني دائمًا، ولا تعكس نظرتي إلى الحياة أو إلى الحب.

فما قيمة العمر إذا كان الإنسان يحمل في داخله روحًا نابضة بالحياة؟ وكم من شخصٍ تبدو على ملامحه سنواتٌ أكثر مما عاش، وكم من آخر تجاوز عمرًا طويلًا وما زال يحتفظ بحيوية الشباب، وصفاء القلب، وشغف البدايات.

ثم إن المرض لا يستأذن عمرًا، ولا يختار ضحاياه وفق عدد السنوات. فكثير من الشباب يقضون أيامهم بين المستشفيات، بينما نجد من تقدمت بهم السنون ما زالوا يمارسون حياتهم بنشاط، يجلسون في المقاهي، أو يستمتعون بأوقاتهم بين أسرهم وأصدقائهم. وكذلك القوة والعطاء لا يرتبطان دائمًا بالعمر، فهما هبةٌ تختلف من إنسانٍ إلى آخر.

لهذا لا أحب أن أقيس الناس بأرقامٍ جامدة، ولا أن أحصرهم داخل قوالب صنعها المجتمع. فالإنسان أكبر من عمره، وأعمق من شهاداته، وأجمل من صورته الظاهرة.

ومع ذلك، لا أدّعي أن رأيي هو الحقيقة المطلقة، ولا أقول إن غيري مخطئ. قد أكون مصيبة، وقد أكون مخطئة، وربما يحمل كل طرفٍ جزءًا من الحقيقة. ولست أسعى إلى

إقناع أحدٍ بما أؤمن به، كما أنني لا أطلب من أحدٍ أن يتخلى عن قناعاته من أجلي.

فالآراء تبقى آراء، والقناعات تبقى تجارب شخصية، وكل إنسانٍ أدرى بظروفه، وما يناسب حياته، وما يبحث عنه في شريك عمره.

أما أنا، فسأظل أبحث عن إنسانٍ يرى روحي قبل أن يسأل عن عمري، ويحبني لأنني أنا، لا لأنني حققت شرطًا من شروط الناس. فالحب الذي أؤمن به لا يُبنى على الأرقام، بل على التفاهم، والاحترام، والصدق، والقدرة على أن نجعل حياة أحدنا أجمل بوجود الآخر.»

تنهدت طويلًا، ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامةٌ هادئة، بدت وكأنها تخفي خلفها حكايةً لم تكتمل بعد، وقالت بصوتٍ خافتٍ تغلّفه الطمأنينة:

«لكل إنسانٍ حلمه، ولكل فتاةٍ رؤيتها الخاصة لشريك حياتها. فهناك من تحلم بالارتباط بطبيب، وأخرى تتمنى زوجًا يعمل في الخارج لترافقه حيث يقودهما المستقبل، ولا أرى في ذلك ما يُلام عليه أحد؛ فلكل قلبٍ بوصلته، ولكل إنسانٍ الحق في أن يختار الحياة التي تشبهه.

أما أنا... فحلمي مختلف.

الفصل الثاني

لا أريد إلا الرجل الذي أحب. لا تعنيني الألقاب، ولا المناصب، ولا الأموال، ولا المكانة الاجتماعية. فما قيمة كل ذلك إذا خلا القلب ممن يمنحه السكينة؟ وما جدوى حياةٍ تفيض بالمكاسب، بينما يفتقر القلب إلى من يشعر معه بأنه عاد إلى موطنه؟

ساد الصمت لحظات، وأخذت تحدق في الأفق، كأنها تستحضر ملامح شخصٍ لا يغيب عن ذاكرتها، ثم قالت بنبرةٍ اختلط فيها الحنين بالألم:

لكن أكثر ما يؤلمني أن بعض العادات ما زالت تقف بين الإنسان وبين حقه في الاختيار. لماذا يُؤجَّل زواج الأخت الصغرى حتى تتزوج الكبرى؟ ولماذا يتحول ترتيب الميلاد إلى قيدٍ قد يحرم إنسانًا من فرصةٍ ربما لا تتكرر؟

أليست لكل واحدةٍ منا حياتها، وظروفها، وقدرها الذي كتبه الله لها؟

ثم أطلقت ضحكةً خفيفة، امتزج فيها المزاح بشيءٍ من العتاب، وقالت:

كل هذا الضجيج... من أجل عريس!

حتى أنكمأ جبرتموني على حجز أول رحلةٍ إلى كاليفورنيا، هربًا من الأسئلة التي تطاردني أكثر مما تطاردني أحلامي!

ثم هدأت ابتسامتها، وأشرق في عينيها بريقٌ دافئ، وأضافت:

أما قلبي... فلا يريد إلا شخصًا واحدًا.

ذلك الرجل الذي أختاره، أريده لأنه هو... ولأنني وجدت في حضوره طمأنينةً تشبه الوطن، ودفئًا يشبه البيت، وسلامًا يجعلني أشعر أنني وصلت أخيرًا إلى المكان الذي كانت روحي تبحث عنه منذ زمنٍ طويل.

لا أريد، ولا أستطيع، أن أكون مع أحدٍ غيره. فهو ليس مجرد من يسكن قلبي، بل هو من يملأ أحلامي وخيالي وأفكاري، ويستوطن عقلي وروحي، بل وحياتي ومستقبلي بأسره.

يقول البعض إنني مغرورة، لأنني لا أرد على الرسائل التي تصلني من الآخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ويقول آخرون: "إن جمالها هو ما يجعلها تتكبر على الجميع." أما أنا فأبتسم في هدوء، وأقول: ليس غرورًا، وإنما هو حبٌّ جعلني لا أرى سواه.

فما قيمة كل الوجوه أمام وجهٍ اختاره قلبي؟

ومن في هذه الأرض، منذ بداية الخليقة إلى نهاية الزمان، يشبه حبيبي؟

عيناي لا تعرفان غيره، فهما تريان صورته في كل شيء، وحتى إذا أغمضت جفوني، بقي حاضرًا أمامي، كأنه النور الذي لا يغيب. وقلبي يشعر به في كل نبضة، وأذناي لا تشتاقان إلا إلى صوته، وكل ذرةٍ في كياني تنطق باسمه، وتتغذى على حضوره، وتحيا به وله.

وربما إذا رآه الناس، لن يفهموا ما أراه فيه، بل قد يسخر بعضهم قائلًا: "أهذا هو الذي رفضتِ الجميع من أجله؟

إنه يبدو كوالدها أو أخيها الأكبر!" فأبتسمت مرة أخرى، وأنا أحب أن قول لهم: ابقوا منشغلين بحياتكم، فما دمتم لا تملكون عينَايَّ اللتين أراه بهما، ولا قلبي الذي أحبه به، ولا روحي التي تنتمي إليه، فلن تستطيعوا أن تدركوا ما أشعر به نحوه.

إن الحب ليس ملامح تُقاس، ولا هيئة تُقارَن، بل هو سرٌّ يسكن القلب، ولا يفقهه إلا صاحبه. أما ما أحمله له في داخلي، فهو شعور تعجز الكلمات عن احتوائه، ويعجز الوصف عن الإحاطة به، وتقف اللغة، بكل ما فيها من بلاغةٍ وشعرٍ ونثرٍ وفصاحة، عاجزةً عن التعبير عنه.

إنني أعشقه عشقًا يفوق عشق العاشقين، حبًّا لا تحدّه العبارات، ولا تصفه الحروف، وكأن قلبي قد خُلق ليحمل اسمه وحده، وروحي لم تُخلق إلا لتسكن إليه.

كل ما أتمناه في هذه الحياة أن أراه، ولو مرةً واحدة. لا أطلب المستحيل، ولا أحلم بالكثير؛ أريد فقط لحظةً تجمعني به، لحظةً أطمئن فيها أن ذلك الوجه الذي يسكن قلبي حقيقي، وأن تلك العينين اللتين أراهما عبر الشاشة و في خيالي موجودتان أمامي.

أريد أن تلامس يدي يده، ولو لثوانٍ معدودة، لأشعر أن هذا الحلم الذي رافقني طويلًا قد أصبح حقيقة. أريد أن أراه، حتى لو كان من بعيد، فأكتفي بالنظر إليه بصمت، وكأن الدنيا قد توقفت عند تلك اللحظة.

وأتمنى أن أستنشق عطره، ذلك العطر الذي أتخيله في كل مرة يخطر فيها ببالي، وأن أتأمل ملامحه مرةً واحدة بعينيّ، لا بخيالي. كم أشتاق إلى رؤيته! كم أتمنى أن أجلس إلى جواره، نتقاسم لحظاتٍ هادئة لا يقطعها شيء، فأشعر أن العالم كله قد اختصر نفسه في ذلك المقعد الذي يجمعني به.

لا أعرف متى يتحقق هذا اللقاء، ولا متى يكتب القدر تلك اللحظة التي طالما انتظرتها، لكنني ما زلت أحمل هذا الأمل

في قلبي، وأرددده في دعائي كل يوم. فكل ما أريده حقًا هو أن أراه، ولو مرةً واحدة في حياتي، ثم قالت في نفسها

- نفسي أوي أشوفه

فكلُّ هذه الأمنيات، وكلُّ تلك الأحلام... هل سيأتي عليها يومٌ تصبح فيه حقيقة؟

هل سيعلم يومًا مقدار الحب الذي أحمله له؟ هل سيدرك ما يختلج في قلبي كلما مرَّ اسمه بخاطري، أو ارتسمت صورته في ذهني؟ وإن علم... ماذا سيفعل؟ هل سيبادلني الشعور ذاته؟ أم سأبقى، في نهاية المطاف، مجرد معجبةٍ ولهى، تقف بعيدًا، تراقب بصمت، وتحمل حبها وحدها؟

قد يظن الجميع أن إعجابي لم يتجاوز شخصيته التي عرفتها من خلال برامجه وظهوره أمام الناس، لكنهم لا يعلمون أن الأمر تجاوز الإعجاب منذ زمن. إنني أحبه... حبًا لم أعرف له مثيلًا من قبل، حبًا مختلفًا عن كل ما مررت به في حياتي. أريده هو، ولا أريد سواه. عيناي لا تبحثان إلا عنه، وقلبي لا يعرف غيره، وكل ما فيَّ يأبى أن يميل إلى أحدٍ سواه.

-متى تتحقق أحلامي حقًا؟

-ومتى أعيش كل تلك التفاصيل التي نسجها خيالي في ليالٍ طويلة؟

-متى تصبح أمنياتي واقعًا ألمسه بيدي، بدل أن تبقى مجرد صورٍ أحتضنها في قلبي؟

-ومتى يأتي اليوم الذي تصبح فيه هذه الأيام... أيامي أنا؟

ها أنا أعاند أهلي، وأعاند نفسي أيضًا، للمرة الأولى في حياتي. أقف في مواجهة كل ما تربيت عليه، وكل ما كنت أظنه ثابتًا لا يتغير. لكن لماذا؟

وإلى أين سيقودني هذا العناد؟ ماذا سأجني في النهاية؟

أعرف أن الطريق يبدو مستحيلًا، وأن المسافة بيني وبينه أكبر من أن تُختصر بحلم، ومع ذلك، لا أستطيع أن أقنع قلبي بالتراجع. فكلما حاولت أن أنساه، ازداد حضوره في داخلي، وكلما أخبرته أن يتخلى عنه، تشبث به أكثر.

ماذا أفعل؟ إنني أحبه... وأريده، بكل ما أوتي هذا القلب من صدق.

لعلَّ أفضل حلٍّ هو أن أصل إلى هناك، أُكمل عملي، وأشغل نفسي . ولعلَّ أحدًا يتقدَّم لخطبة أختي، فأتمكن أنا أيضًا من المضي في حياتي، فلا يعود أحدٌ يردد: "الكبرى" أو "الصغري". عندها أستطيع أن أنزل وأعود إلى بيتنا من

جديد، ولعلَّ الناس تنساني أخيرًا، أو على الأقل يتوقفون عن إشغال أنفسهم بي.

وربما ينسون أيضًا تلك الألقاب التي يطلقونها عليَّ، مثل "السفيرة عزيزة" أو "غيرة". فكلُّ ما هو جميل لا يسلم من ألسنتهم، وكلُّ ما هو سيئ كذلك. إنهم يتحدثون في كل الأحوال. حتى عندما أكتب مقالًا وأنشر صورتي معه، لا يقرأون ما كتبت، بل يدخلون ليسألوني عن روتين شعري، أو العناية ببشرتي، أو نظامي الغذائي، ولا يعلمون أنني لا أفعل شيئًا سوى استخدام شامبو سان سيلك الأسود.

أما جسدي، فكل ما أفعله هو أنني لا أشرب المشروبات الغازية، وأبتعد تمامًا عن الدهون والسكريات والزيوت المهدرجة، وأحرص على تناول الطعام الصحي. فبعض الأشياء تحتاج إلى عقلٍ وتفكير، لا إلى إنفاقٍ ومصاريف. والبساطة خيرٌ من التكلف والتصنع، لكن العالم امتلأ بالنفخ والشد والفلاتر، حتى كاد الناس يتشابهون في ملامحهم من كثرة الحقن والتصنع. ولذلك، أصبحت البساطة في هذا الزمان هي أكثر ما يلفت الانتباه.

الفصل الثالث

وظلت تفكر طويلًا في الحلقة التي ستبدأ بها، ثم قالت لنفسها: بدلًا من الحديث عن النجاح والتطور وتجاوز المعوقات، لماذا لا أسلك طريقًا آخر يشبه ذلك ويكمله؟

لماذا لا أذهب بنفسي إلى تلك الشخصيات الناجحة وأتحدث معها؟

لماذا لا أعقد معهم لقاءات، وأقدم سلسلة حلقات متتالية، لا سيما عن المصريين الناجحين في كل مكان من العالم؟ والحمد لله، أنا أستطيع السفر، وحقًا... سأفعل ذلك.

إنها فكرة رائعة، ولكن... هل أفعل هذا حقًا من أجل نجاحي؟ أم من أجل مقابلة حبيبي الناجح، والجلوس معه في حوار صحفي؟

هل هذا صوت عقلي، أم أنه مجرد استجابة لرغبات قلبي واحتياجاته؟

لا... لم أعد أستطيع التمييز بينهما. كل ما أعرفه أنني أريدهما معًا؛ أريد النجاح، وأريد حبيبي أيضًا.

ماذا سأفعل في ذلك اليوم؟

في تلك المقابلة التي يتمناها قلبي، وجسدي، وعقلي، وروحي، وكل ما فيَّ؟

أمعقول أن تتيح لي الحياة تلك الفرصة؟

أن أُسلِّم عليه، وأجلس أمامه؟

وماذا ستفعلين يا عيناي؟ فأنتما، كلما رأيتماه في البرامج أو على اليوتيوب، ارتبكتما في لحظة، واحمررتما خجلًا في اللحظة التالية. وأنت يا قلبي، ماذا ستفعل؟

هل ستخفق كما تفعل دائمًا، حتى أكاد أشعر بك تريد أن تغادر صدري؟

أم ستتماسك هذه المرة، وتسيطر على نبضك، وتلوذ بالصمت.

فاضت روحها بامتنانٍ دافئ للأساتذة والزملاء الصحفيين؛ فبرامجهم الحوارية، واللقاءات التي أُجريت معه، وحتى تلك الصور المتناثرة عبر محرّكات البحث وعلى صفحته الشخصية... كانت كلها تنصبّ في قلبها كجرعاتٍ من الصبر، تُعينها على مواجهة وحدتها، وتغذّي طيف أحلامها وخيالها بتفاصيلٍ تستوطن حياتها اليومية.

كان يستبدّ بها الذهول كلما تساءلت: كيف استطاع أن يعبر كل تلك العقبات، ليصل إلى هذا النجاح الباهر ويحقق حلمه؟ وكانت تلهج بالدعاء له، أن يحفظه الله ويسدّد خطاه.

كان من طراز أولئك الأشخاص الذين يثيرون في النفس عاصفةً من الأسئلة والتأملات؛ فتىً يخوض غمار التجربة

في أرضٍ غريبة، لا يملك فيها أنيسًا ولا مجيبًا، ويبدأ من الصفر وسط حياةٍ جديدة كليًا. لم يكتفِ بشهادته الجامعية التي حصدها هنا، بل شدّ الرحال ليعيد بناء تعليمه من جديد هناك، وكأن الطريق إلى الحلم لا يُقاس بعدد السنوات، وإنما بقدر ما يملك الإنسان من إصرارٍ على المضيّ فيه.

وفي تلك اللحظة، تجلّت لها الحقيقة جليّةً كالشمس: لم تكن الثانوية العامة يومًا نهاية المطاف، ولا ختامًا للأحلام. وليست الأوراق والشهادات هي الغاية، بل العبرة بالوصول، وبامتلاك شرف المحاولة، ثم شجاعة الاستمرار حتى النجاح.

إنها قصةٌ تقف أمامها الدنيا مأخوذةً بالدهشة والصمت، لما تختزنه بين طيّاتها من دروسٍ قاسية وجميلة في فن اقتناص الأحلام، ومنحها فرصةً أخرى للحياة مهما بدا الطريق بعيدًا.

ارتسمت على شفتيها ابتسامةُ تحدٍّ، وقالت في سرّها:

«سأنجح أنا أيضًا... سأحقق حلمي، وأصنع برنامجي الخاص، وسأراه يومًا وأكون إلى جواره. إنه يعشق الناجحين، ويأخذ بأيديهم نحو القمة... ولا بد أن تكون تلك لحظة لقائي الأول به.

قالت بحماس، وهي تحدّث نفسها، وقد أخذت الأفكار تتزاحم في رأسها:

ـــ متى أصل إلى هناك لأبدأ إعداد البرنامج وأراه؟

لكن... ماذا سأسمي البرنامج؟

و ظلت تفكر للحظات، ثم قالت وهي تبتسم:

ـــ «رينا والآخرون»... أم «الطموحون»؟ أو «رينا والذين حققوا أحلامهم»؟ لا، هذا طويل جدًا.

صمتت قليلًا، ثم اتسعت عيناها بحماس وكأنها عثرت على الاسم المثالي:

ـــ واو... «رينا والمتفوقون»! جميل، جميل جدًا.

ثم عادت تفكر، قبل أن تهز رأسها قائلة:

ـــ أم «رينا والأحلام»؟ لا... دعيني على «رينا والمتفوقين». صغير، شامل، وهادف... نعم، هذا هو.

ابتسمت لنفسها، ثم بدأت ترتب في ذهنها كل ما عليها فعله:

ـــ ويجب أن أجهز كل شيء بمجرد أن أصل، وأحضر كل الأدوات التي سأستخدمها هناك. متى أصل فقط لأراه وأبدأ؟ والحمد لله أنني كنت أعدّ برنامجي من قبل، فهذا

سيساعدني كثيرًا على إكماله... خصوصًا أن لديّ نسبة مشاهدة جيدة جدًا.

سكتت للحظة، ثم خفتت ابتسامتها، وكأن فكرة أخرى اقتحمت عقلها فجأة.

ـــ لكن... ماذا لو لاحظ اهتمامي به؟

ماذا لو عرف منذ الحلقة الأولى أنني اخترته تحديدًا من أجله؟

ربما يظن أنني أعددت البرنامج كله بسببه هو.

هزّت رأسها بسرعة، وكأنها تحاول طرد الفكرة من ذهنها.

ـــ لا، لا... لن أفعل الحلقة الأولى معه. سأختار شخصًا مصريًا آخر، مشهورًا هناك، وحقق حلمه، وأجري معه الحلقة الأولى.

ثم تنهدت، قبل أن تقول بصوت أكثر هدوءًا، وفيه شيء من التردد:

ـــ رغم أنني أتمنى كثيرًا أن أراه وأجري معه الحلقة الأولى... لكن ماذا سأفعل؟ كل شيء سيكون واضحًا إن بدأت به.

صمتت قليلًا، ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة تحمل شيئًا من الخجل والقلق.

ـــ سأحتاج إلى أن أتدرب أكثر على هذه الحلقة تحديدًا... حتى أستطيع أن أتماسك أمامه. يجب أن أسيطر على انفعالاتي، وأحافظ على ثباتي، وأكون أكثر ثقة بنفسي أثناء اللقاء، وفي طريقة طرح الأسئلة وكل شيء.

وضعت يدها على صدرها، وكأنها تشعر منذ الآن بخفقان قلبها في ذلك اللقاء الذي لم يحدث بعد.

ـــ يا رب استر في هذه الحلقة... وفي ذلك اليوم تحديدًا.

ثم سكتت، وغرقت في خيالها للحظات، تتخيل كيف سيكون اللقاء، وكيف ستجلس أمامه وتحاول أن تبدو هادئة وواثقة، بينما قلبها على الأرجح سيكون له رأي آخر تمامًا.

ابتسمت لنفسها وهمست:

ـــ يبدو أن أصعب حلقة في البرنامج... لن تكون أصعبها بسبب الأسئلة، بل بسببه هو.

استقرت أفكارها أخيرًا، وحسمت أمرها بعد تردد طويل. تركت فكرة إجراء المقابلة مع صاحب سلسلة المطاعم الشهير جانبًا، ومالت إلى اختيار شاب مصري آخر، اشتهر

بقصته ونجاحه، وكان قد أسس شركة متخصصة في خدمات النظافة وبدأ يبرم العقود الكبيرة.

شعرت أن قصته ستكون أكثر إثارة للاهتمام، فقررت أن تبدأ به، وأن تشاهد حلقاته وفيديوهاته السابقة بعناية، حتى تتعرف إلى طريقة حديثه، وتراجع الأسئلة التي سبق أن طُرحت عليه، وتتفادى تكرار أي منها.

قالت لنفسها وهي تنظر من نافذة الطائرة:

«متى أصل فقط؟ الحمد لله... لم يتبقَ الكثير.»

وما هي إلا لحظات حتى أعلن قائد الطائرة عن قرب الهبوط.

تنفست الصعداء، وشعرت بشيء من الراحة وهي تدرك أن الرحلة أوشكت على الانتهاء.

وبالفعل، هبطت الطائرة، وما إن خرجت إلى صالة الوصول حتى وجدت صديقتها المقربة في انتظارها. استقبلتها بحفاوة، ثم اصطحبتها إلى السكن.

ـــ رينا، إزيك؟ عاملة إيه؟ كنتِ وحشاني موت!

ـــ يا قلب رينا يا توتا، أنتِ اللي وحشاني! عاملة إيه وإيه أخبارك؟

ـــ الحمد لله.

وظلتا تتحدثان طول الطريق عن فكرة البرنامج، وشجعتها صديقتها وقالت:

ـــ واو! فكرة حلوة أوي دي، تمام... هعملها معاكِ!

ـــ حبيبتي يا توتا، ربنا ما يحرمنيش منك ولا من محبتك الكبيرة أبداً!

كانت تتوقع أن تستلقي وتستريح بعد عناء السفر، لكنها لم تستطع.

كان عقلها منشغلًا بالحلقة القادمة.

وضعت حقيبتها جانبًا، ثم اتجهت إلى المطبخ وأعدت لنفسها كوبًا من القهوة. جلست قليلًا، وما إن انتهت منه حتى شعرت برغبة في كوب آخر، فأعدت الشاي وجلست أمام حاسوبها.

بدأت تعد الحلقة من جديد، ترتب أفكارها، وتراجع محاور اللقاء، وتكتب الأسئلة واحدًا تلو الآخر، ثم تعيد قراءتها وتحذف ما تراه مكررًا أو غير مناسب.

كانت تريد أن تكون الحلقة مختلفة.

تريد أن تترك بصمتها الخاصة فيها.

ولم تضيّع وقتًا طويلًا، فاتصلت بمكتب الرجل، وحصلت على موعد لإجراء المقابلة.

وحين جاء الموعد، ذهبت وأجرت الحلقة معه.

كانت متوترة في البداية، لكن سرعان ما اندمجت في الحوار، وانتهى اللقاء على نحو أفضل مما توقعت.

عادت إلى منزلها، وجلست مع صديقتها المقربة تراجعان التسجيل وتعملان على إعداد الحلقة. ظلتا ساعات بين المونتاج والمراجعة وإعادة ترتيب المقاطع، حتى أصبحت الحلقة جاهزة أخيرًا.

رفعتها على القناة.

ولم تمر فترة طويلة حتى بدأت المشاهدات في الارتفاع، وحققت الحلقة نجاحًا أكبر مما كانت تتوقع.

كانت تلك النتيجة كفيلة بأن تمنحها حماسًا جديدًا، لكنها في الوقت نفسه جعلت قلبها يخفق بقوة؛ فقد حان الوقت لإعداد الحلقة التي كانت تعتبرها حلقة الحلم.

الحلقة المنتظرة.

الفصل الرابع

الحلقة التي لم تكن مجرد لقاء بالنسبة إليها، بل كانت شيئًا ظل يعيش في خيالها طويلًا.

جلست في غرفتها، وأعدت كوبًا من الشاي، ثم فتحت هاتفها وبدأت تشاهد فيديوهاته القديمة.

كانت قد حفظتها عن ظهر قلب.

تعرف كلماته، وطريقة حديثه، وضحكته، وحتى بعض ردود أفعاله التي اعتادت رؤيتها مرارًا.

ومع ذلك، كانت تشاهدها في كل مرة بالنظرة نفسها.

نظرة إعجاب ممزوجة بحب صامت، وشغف تحاول أن تخفيه حتى عن نفسها.

لكن هذه المرة، كان شرودها أعمق.

ظلت تحدق في الشاشة، بينما أخذ عقلها ينسج الاحتمالات، وقلبها يسبقها إلى شيء لا تجرؤ على التفكير فيه طويلًا.

ثم تنهدت وقالت بصوت خافت:

«يعني هو نزل إلى مصر مرات كثيرة... ولم أره ولو مرة واحدة؟»

ابتسمت ابتسامة صغيرة، ثم تابعت:

«كم أتمنى لو رأيته يومًا... ولو صدفة.»

سكتت لحظات، وكأنها تحاول أن تطرد الفكرة من رأسها، لكنها لم تستطع.

«لكن القدر لم يكتب لي هذه الرؤية حتى الآن.»

كانت تعرف حظها جيدًا، أو هكذا كانت تظن.

لطالما شعرت أن الأشياء التي تتمنى حدوثها بشدة لا تأتيها بسهولة، ولذلك لم تستطع أن تمنع الخوف من التسلل إلى قلبها كلما فكرت في هذه الحلقة.

كانت تخشى اللقاء بقدر ما تتمناه.

تخشى اللحظة التي ستراه فيها أمامها، لا خلف شاشة.

تخشى أن تلتقي عيناه بعينيها، وأن يخونها ارتباكها.

ثم همست لنفسها:

«أيعقل أن تتحول أحلامي أخيرًا إلى حقيقة؟»

غلبها النعاسُ أخيراً وتسرب النوم إلي جفنيها الإرهاق، لكنه لم يكن سوى إغفاءةٍ خاطفة؛ إذ سرعان ما**انتفضت متخلصةً**

من نعاسها، وقفزت من فراشها، يسبقها شغفٌ عارم لإعداد الحلقة المنتظرة.

جلست تنقب بين أوراقها وتصيغ الأسئلة بعناية، ثم توقفت فجأة وحدثت نفسها بلهفة: «لابد أن أتواصل معه أولاً لأحدد الموعد.. ولكن ماذا سأرتدي؟»

و ظلت تقلب في خزانة ملابسها وتحتار: «البنطلون الأسود مع تلك البلوزة النبيتية؟ لا.. لا، ليكون تيشرتا قطنياً بسيطاً كي لا أبدو مفرطة في الاهتمام.. وأريد أيضاً أن أصفف شعري بطريقة مميزة!

ثم ابتسمت لتشتت أفكارها وقالت بصوت خفيض: «عظيم، لكن عليّ أن أتصل أولاً وأحجز الموعد».

ابتلعت ريقها بتوتر، ودعت في سرها:

- «ربنا يستر..»

وبعد رحلةٍ من التعب والمعاناة في صياغة المحاور، حانت اللحظة الحرجة. ضغطت على زر الاتصال، وفي تلك

الثواني الفاصلة، كانت دقات قلبها تقرع كطبولٍ متسارعة، تتنازعها فرحة طاغية وخوفٌ مربك. كانت تهمس لروحها مأخوذةً بالذهول: «أخيراً سأسمع صوته قريباً من أذني.. سينطق اسمي! هذه هي اللحظة التي طالما حلمت بها وتمنيت أن أعيشها».

ازدادت ضربات قلبها جنوناً، وفجأة.. أتاها الصوت المرتجى عبر الأثير:

«ألو؟»

سكنت «رينا» تماماً، لجم الصمت لسانها وارتبكت كل حواسها، وابتلعت ريقها وهي تنصت في ذهول، حتى تكرر الصوت بلهجة أكثر هدوءاً:

«هاي؟»

استجمعت شتات شجاعتها، أخذت نفساً عميقاً يهدئ ثورة صدرها، وقالت بصوتٍ يحاول التماسك:

«ألو.. صباح الخير، حضرتك الكابتن سعيد؟»

أجابها بنبرة حاسمة وواثقة:

«نعم..»

تابعت بلهفة تسعي لضبطها:

«أنا البلوجر رينا، صاحبة قناة (رينا والمتفوقون)، وكنت حابة أعمل حلقة مع حضرتك.. لقاء عن رحلة نجاحك وتفوقك في مجال الطيران.»

رد بأسلوب عملي ومختصر:

«تمام حضرتك.»

ثم قال:

«ممكن يوم الثلاثاء ينفع مع حضرتك؟»

كانت تنصت لنبرات صوته وكأنها تتنفس كل حرفٍ ينطقه، فتاهت في التفاصيل حتى غابت عن الرد لثوانٍ، فجاءه صوته متسائلاً:

«ألو؟ سمعاني؟»

حاولت السيطرة على اضطرابها وقالت بجمودٍ مصطنع:

«تمام حضرتك.. الساعة كام ينفع؟»
«على الساعة ٥.»
«والعنوان حضرتك؟»

أملاها كافة التفاصيل بدقة، ثم أنهى حديثه بنبرة راقية:

«في انتظار حضرتك يا أستاذة رينا.. باي.»

تردد اسمها على لسانه كأنشودةٍ سحرية، فتلاحقت أنفاسها واعتصر قلبه الشغف لدرجة أنها لم تستطع أن تتفوه بكلمة «باي» قبل أن يغلق خط المكالمة.

أبعدت الهاتف عن أذنها وهي في حالة من الذهول الذهبي.. لا تدري كيف انتهت المكالمة، ولا كيف جرت أحداثها أصلاً، سوى أن حلمها الملتصق بالروح قد بدأ يتجسد واقعاً.

جلستْ على الأريكةِ في هدوءٍ تام، وقلبُها يدقُّ بانتظامٍ مع حركاتِ عقاربِ الساعة. كانت كلمتُهُ الأخيرةُ ما زالت تتردَّدُ في أذنيها كمعزوفةٍ موسيقيةٍ ساحرة: «أستاذة رينا.. اتشرَّفتُ بحضرتكِ».

ابتسمتْ بشرودٍ وهي تمسحُ على طرفِ وسادتها، وتهمسُ لنفسها: «كل مرة أسمع صوته من ورا الشاشة كان قلبي بيدق.. بس دي أول مرة أسمع صوته قريب مني كده! ينطق اسمي بلسانه؟ هو مش فاهم إن أنا اللي اتشرَّفتُ بيه وبوجوده.. وبحبّه؟»

بدأتِ الأفكارُ تتزاحمُ في رأسِها؛ هل ستكونُ هذه الحلقةُ مجرَّدَ حلقةٍ عاديةٍ كسابقاتها وتمرّ؟ أم أنَّها شرارةُ البدايةِ لقصةٍ جديدةٍ تجمعهما معًا؟

تساءلت في حيرةٍ وقلقٍ لذيذ:- هعمل إيه لما أشوفه بجد؟ لما أسلّم عليه وأقعد قدامه؟

إذا كانت مجرد مكالمة منه شلّت تفكيري وخلّتني بالمنظر ده.. هبص في عينيه إزاي؟

كان صوتُ نطقِه لاسمِها يرنُّ في زوايا الغرفة، ويُشعلُ في روحِها دفئًا غريبًا. أخرجت هاتفَها بتلقائية، ولم يكن غريبًا أن اسمَهُ هو الأوّلُ دائمًا في قائمةِ البحث. فتحت ألبومَ الصور، وظلّت تتأمّل ملامحَهُ الهادئةَ وهي تسترجعُ نبرةَ صوته التي تخترقُ صمتَ الليل.

ومع سحرِ تلك اللحظةِ ودفءِ الملمسِ والهمس، أغلقت عينيها تدريجيًّا وهي تحتضنُ الهاتفَ إلى صدرِها، لتغرقَ في نومٍ عميقٍ هادئ، ممتلئٍ بأحلامٍ تشبهُ نبرةَ صوته.

الفصل الخامس

استيقظت رينا من نومها، وكان أول ما احتلَّ تفكيرها سؤالٌ واحد:

ماذا سأرتدي؟

جلست على طرف الأريكة، وظلت تحدّث نفسها وهي تبتسم تارةً وتتنهد تارةً أخرى:

«لازم أعمل بروفات على الحلقة دي... بمجرد ما سمعت صوته حصل فيا كل ده، أمال لما أشوفه بقى؟!»

ثم عقدت حاجبيها وكأنها دخلت في معركة حقيقية مع نفسها، وقالت بجدية:

«أهم حاجة... إزاي أقدر أتمالك نفسي وأبقى طبيعية خالص قدامه، وما يلاحظش أي حاجة؟

ده اللي لازم أتدرّب عليه بجد.»

ومنذ تلك اللحظة، تحوّل يومها إلى ما يشبه الاستعداد لمواجهة مصيرية. مرةً تحتار في اختيار ملابسها، ومرةً تقف أمام المرآة تتأمل نفسها، ثم تبدأ في التدريب على كيفية التماسك، وكيف تخفي ارتباكها، وكيف تنظر إليه

بصورة طبيعية دون أن تفضح عيناها ما يحاول قلبها إخفاءه.

ومرّت الأيام سريعًا، حتى جاء يوم الثلاثاء.

وفي ذلك الصباح، بدت رينا مختلفة حتى عن نفسها. كان الفرح يملأ روحها، وانعكس جمال قلبها على ملامحها، فازدادت جمالًا على جمال، وكأن ذلك اليوم قرر أن يمنحها نسخةً أجمل من نفسها؛ جمالًا فاق كل يومٍ مضى.

خرجت متوجهة إلى المكان، وفي الطريق كانت تشعر بقلقٍ وارتباكٍ شديدين. كان قلبها يخفق بعنف، حتى خُيّل إليها أنه على وشك أن يخرج من بين ضلوعها.

كانت تحاول، بين الحين والآخر، أن تستعيد سيطرتها على نفسها، فتأخذ نفسًا عميقًا، وتغمض عينيها للحظات، ثم تعود لتقنع نفسها بأنها قادرة على التصرف بصورة طبيعية.

وحين اقتربت من المكتب، أغلقت عينيها أخيرًا، وقالت في همس:

-يارب... كون معايا، ومحدش يلاحظ عليّا حاجة... لا هو ولا توتا.

ابتلعت ريقها، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم فتحت عينيها ببطء.

لم تكن تصدق نفسها... بعد دقائق معدودة فقط، ستكون أمامه.

وضمّت يدها إلى الأخرى وضغطت عليها بقوة، وكأنها تحاول تثبيت نفسها في مكانها.

-لازم ما يلاحظش حاجة... كده هيقول عليّا إيه؟!

هيأخد عني فكرة غلط ووحشة، ويفتكر إني بعمل كده مع أي حد. هو أصلًا ما يعرفنيش... فلازم عقلي هو اللي يسيطر عليّا وعلى قلبي، وإلا هافضل أقع كل مرة.

ثم أخذت نفسًا آخر، وأضافت في داخلها:

-أنا عايزة أنجح في برنامجي... وده أهم من أي حاجة.

وبينما كانت غارقة في أفكارها، قطع شرودها صوت الكابتن:

-أهلًا بالبلوجر، الأستاذة رينا.

توقفت رينا للحظة.

تجمّدت الكلمات على شفتيها، وكأن عقلها احتاج إلى ثوانٍ ليستوعب أنها سمعت صوته أخيرًا... صوته الذي كانت تسمعه من خلف الشاشة، وها هو الآن أمامها، قريبًا منها إلى هذا الحد.

كانت في حالة من الارتباك والذهول والفرح والحيرة في آنٍ واحد.

لكن توتا أنقذتها من تلك اللحظة المحرجة، فسارعت إلى إلقاء التحية على الكابتن، لتستعيد رينا شيئًا من توازنها، وتقول بابتسامة متوترة:

-أهلًا بحضرتك يا كابتن.

ابتسم لها وقال:

-اتفضلوا.

ودخلوا جميعًا.

وما إن جلست رينا حتى شعرت أن الأمر أصبح أصعب مما تخيلت. ازداد خفقان قلبها بصورة واضحة، وشعرت بارتباك يسري في جسدها كله.

لكن جملة واحدة ظلت تتردد داخل رأسها:

-هو هيقول عليّا إيه؟.

ثم قال ليقطع عنها أفكارها:

-تحبوا تشربوا إيه؟

أجابته توتا:

-شكرًا خالص لحضرتك.

وقالت رينا بخجل شديد:

-شكرًا.

لكن لم يترك لهما فرصة للرفض، وقال:

-لا لا، لازم تشربوا حاجة.

ثم أحضر لهما العصير.

نظرت رينا إلى الكوب أمامها، لكنها لم تستطع أن تشرب. كانت يداها تكشفان شيئًا من توترها، فاختارت كوب الماء، وارتشفت منه قليلًا، محاولةً أن تهدئ قلبها الذي لم يتوقف عن الخفقان.

ثم جاء صوته مرة أخرى:

-نوّرتي أمريكا.

رفعت رينا عينيها إليه، وحاولت أن تجمع شتات نفسها، ثم ابتسمت وقالت:

-منوّرة بحضرتك... وتوتا.

ابتسمت توتا وقالت:

-منوّرة بحضرتك، وكل المصريين.

ابتسمت رينا، بينما كان قلبها يقول شيئًا آخر تمامًا...

شيئًا لم تستطع أن تسمح له بالخروج من بين شفتيها.

بمجرد أن انساب صوتُه إلى مسامعها، حاملاً جديّةً صارمة طُبِعت بطبائع تلك البلاد البعيدة، شعرت بأنه غدا واحداً منهم. حاولت رينا أن تستجمع شتات قلبها طوال اللقاء، وسرعان ما استعادت رباطة جأشها؛ فتداعت إلى ذهنها أسئلةُ البرنامج ومحاورُه كمن أُعيدت إليه ذاكرتُه في لحظة.

كانت هيبته الهادئة، وخوفها الخفي من أن يسيء فهمها، وجوار صديقتها، كلُّها أسبابٌ أعادت إليها ثباتها. أدارت الحوار باقتدار حتى أتمّت أسئلتها، وما إن أُعلِن ختام التصويرولكن استأذنت صديقتها وذهبت وحاولت رينا أن تذهب فجلس معها الكابتن وجلست قليلا

ثم قالت بصوت جاد بعض الشئ

- ربنا مع حضرتك دايما حقيقي حضرتك عانيت كتير وتعبت لغه وتعليم وشغل والحمد لله حضرتك بتجني ثمره تعبك وربنا يوفقك دايما يا رب.

- شكرا خالص ويوفقك يا استاذة مبسوط اوي بالحلقة الجميلة دي ومبسوط اكتر أن في حد بيعمل اللي انتي بتعمليه بجد حلو وحلو اوي كمان استمري.

- شكرا خالص لحضرتك ويوفق حضرتك يا رب

شعرت رينا بخجل شديد ثم قالت: انا هستاذن.
- انا ممكن اوصلك معايا لو حابة.
- شكرا خالص لحضرتك مش حابة اتعبك.
- لا مافيش أي تعب كفاية أننا مصريين زي بعض ولازم نخاف ونشجع بعض.
- تمام حضرتك.
- اتفضلي.

الفصل السادس

ولاحظت رينا أنه لا يرتدي دبلة ولا اي حاجه و قالت في نفسها: بس مش شرط ممكن يكون متجوز و مش لابس

مش عارفه انا في لقاءاتي مش بحب اوي اجيب سيرة الحياة الشخصية عشان بعمل علي قصص النجاح مش حياتة الأسرية

صحيح إن الحياة الشخصية ممكن تكون جزءًا لا يتجزأ من النجاح، بس أنا مش بحب أحط أي سؤال شخصي. اللي حابب يتكلم عن حياته الشخصية براحته ويذكر اللي يحب، غير كده لا.

لم تصدّق رينا حتى الآن أنها تجلس إلى جوار الكابتن، داخل سيارته، وعلى بُعدٍ قريب منه إلى هذا الحد. كانت تحاول أن تستوعب ما يحدث، بينما كانت عيناها تتنقلان بين الطريق

من أمامها وتفاصيل السيارة، وكأنها تخشى أن تستيقظ فجأة وتكتشف أن كل ذلك لم يكن سوى حلم.
لكن الكابتن قطع شرودها قائلًا، بنبرة ودودة:
ـــ إيه رأيك يا رينا في شوارع أمريكا؟
ابتلعت ريقها سريعًا، ثم أجابت وهي تحاول أن تبدو طبيعية:
ـــ حلوة أوي.
نظر إليها للحظة، وسألها ببساطة:
ـــ مالك؟
ساد الصمت لثوانٍ، فأدركت أنه يسألها عن حالها، فسارعت إلى القول:
ـــ مافيش.
لم تكن تريد أن يلاحظ شيئًا عليها، أو أن يقرأ الارتباك في ملامحها. فما الذي سيظنه لو اكتشف أنها معجبة به؟
ربما سيضعها في خانة معجباته اللواتي يتركن له التعليقات باستمرار.
بس لا... لازم مايبانش علي أي حاجة خالص.
كانت تعرف أن كثيرات يعجبن به، وكانت تلاحظ اهتمامه بأنجي ومايا، كما كانت تلاحظ قوة ردوده عليهما، والطريقة التي يتحدث بها معهما وكأنه يعرفهما منذ فترة. لكن اهتمامه بأنجي كان يبدو أوضح بالنسبة لها، خصوصًا من خلال تعليقاتهما المتبادلة.

واضح إنه يعرف أنجي أكتر، ويمكن بينهم معرفة قديمة... عشان كده لازم مايبانش عليا أي حاجة خالص.
ورغم كل محاولاتها لإقناع نفسها بالهدوء، فإنها لم تستطع أن تنكر الحقيقة البسيطة: لم تكن تتوقع منه أبدًا أن يتحدث معها بهذه الطريقة، ولا أن يعرض عليها أن يوصلها بنفسه.
وقبل أن تسترسل في أفكارها أكثر، قاطع الكابتن شرودها مرة أخرى:
— إنتي جاية هنا مع مين يا رينا؟
التفتت إليه، وابتسمت قائلة بعفوية:
— جاية مع ربنا.
انطلقت ضحكات خفيفة في السيارة، وفهم الكابتن من إجابتها أنها جاءت بمفردها. ابتسم وهو يقول:
— ونِعْمَ بالله... بس برافو عليكي.
— شكرًا.
صمت لحظة، ثم تابع وهو ينظر إلى الطريق:
— إنتي عارفة؟ أنا بحب السفر أوي. سافرت بلاد كتير... وكتير أوي كمان.
استمعت إليه باهتمام، ثم قالت:
— آه، ربنا مع حضرتك دايمًا ويوفقك.
ابتسم لها وقال:
— ويوفقك إنتي كمان. وإن شاء الله برنامجك يكون أعلى نسبة مشاهدة دايمًا.

أضاءت ابتسامة صغيرة وجهها، وردت بحماس صادق:
ـــ آمين يا رب.
نظر إليها للحظة قبل أن يقول:
ـــ بس حلو إن أهلك سايبينك تعملي اللي بتحبيه.
أجابته بثقة، وقد بدا عليها الامتنان:
ـــ هما واثقين فيا... وفي تربيتهم.
ابتسم الكابتن إعجابًا، وقال:
ـــ ونِعْمَ التربية، بصراحة.
خفضت رينا عينيها قليلًا، وهي تبتسم بخجل:
ـــ شكرًا.
ثم قالت رينا بصوت أقوى قليلًا، وقد امتلأت نبرتها بالحماس والاقتناع:
ـــ البنت مش بالطلوع ولا بالدخول. ممكن واحدة تكون واقفة مع واحد، بس سوري، وبكلامها وأسلوبها تطمعه فيها... وواحدة تانية تبقى وسط ألف شاب، ومحدش يقدر حتى يرفع عينه فيها.
توقفت لحظة، وكأنها ترتب أفكارها، ثم تابعت بثقة:
ـــ لا لبس، ولا ميكب، ولا سهر، ولا أي حاجة هي اللي بتحدد أو تشكل أو تتحكم في أخلاق البنت. اللي بيعمل ده تربيتها. وطول ما الواحدة متربية صح وكويس، مستحيل تعمل حاجة غلط.

كانت تتحدث بحماس واضح، بينما ظل الكابتن يستمع إليها باهتمام.
ثم قال، وقد بدا على صوته شيء من الإعجاب والاندهاش:
ـــ دي حقيقة... وأنا حابب أوي رأيك، عشان أنا كمان مقتنع بكده أوي فعلًا. البنت تربية، ومن خلال تربيتها بيظهر ده في أسلوبها وسلوكها وحياتها.
ثم أضاف بعد لحظة:
ـــ وطبعًا الضرب ده أنا برفضه تمامًا مع البنت. غلط، وفي بنات ممكن تعند بسبب الضرب. الحنية مع البنات مهمة، وخصوصًا إن البنت بطبعها عاطفية.
أومأت رينا برأسها، وقالت بهدوء:
ـــ دي حقيقة حضرتك.
نظر إليها الكابتن وابتسم، ثم قال مازحًا:
ـــ بلاش كلمة "حضرتك" كل شوية... الحلقة خلصت، هههههه.
ابتسمت رينا بخجل، بينما تابع وهو يضحك:
ـــ وبعدين إحنا مصريين زي بعض، فبلاش تكاليف بقى.
ساد الصمت للحظات.
خفضت رينا عينيها، ثم قالت بصوت خافت:
ـــ حاضر...
ثم ترددت قليلًا قبل أن تضيف:
ـــ يا كابتن.

ضحك الكابتن وقال:
ـــ برضو!
ثم تابع موضحًا:
ـــ على فكرة، هنا في أوروبا كله بيتقال له باسمه. مافيش ألقاب وكده أوي. فبسيطة لما تلاقي الموضوع كده هنا.
لم تجبه رينا.
كانت تشعر أن الحديث أخذ منحى أربكها أكثر مما توقعت.
نظرت إلى الأمام، بينما شعرت بحرارة الخجل تتسلل إلى وجهها.
التفت إليها الكابتن، فازداد ارتباكها، وابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تقول:
ـــ أكتر من كده مش هينفع.
أخذت نفسًا عميقًا، ثم أضافت بخجل واضح:
ـــ مش هقدر.
ابتسم الكابتن، وكأنه يحاول أن يخفف عنها حرجها، وقال:
ـــ يعني أنا مثلًا اسمي سعيد صالح.
ثم ضحك قليلًا وأضاف:
ـــ وصالح أصلًا اسم جد بابا، ربنا يرحمه.
قالت رينا على الفور:
ـــ آه، ربنا يرحمه.
ـــ كله هنا كده.
ـــ آه.

صمت لحظة، ثم سألها:
ـــ إنتي قاعدة هنا لحد إمتى؟
فكرت قليلًا قبل أن تجيبه:
ـــ يعني... مش عارفة الصراحة.
ابتسم وقال:
ـــ ربنا معاكي ويدبرلك أمورك.
ثم أضاف بعد لحظة:
ـــ بس لو قاعدة، خليني أشوفك.
رفعت رينا عينيها إليه، وقالت بابتسامة خجولة:
ـــ تمام يا كابتن.
فكر قليلًا، ثم قال:
ـــ اسم الفيس بتاعك إيه؟ عشان أقدر أتواصل معاكي.
اتسعت عينا رينا قليلًا من المفاجأة، ثم أخرجت هاتفها و نظر الكابتن إلى الشاشة، وأملى عليها بعض الحروف بالإنجليزية حتى تصل إلى حسابه، ثم أرسلت له طلب الصداقة.
وأمسك هاتفة و قبله.
في تلك اللحظة، شعرت رينا بأن قلبها امتلأ بسعادة لم تستطع إخفاءها. كانت تبتسم دون أن تشعر، وكأن مجرد وجود اسمه بين أصدقائها على هاتفها أصبح شيئًا يعني لها الكثير.
لكن سعادتها لم تدم طويلًا.

سرعان ما تذكرت الفتاتين اللتين اعتاد أن يعلّق لهما باستمرار، وتذكرت اهتمامه بهما وتعليقاتهما المتبادلة.
انطفأت ابتسامتها قليلًا، وصمتت، ثم حاولت أن تستعيد توازنها.
اهدَي يا رينا... و أخذت نفسًا عميقًا، وقالت في سرها، وكأنها تضع أمام قلبها حدًا لا تريد تجاوزه:
لازم أحتفظ بكرامتي.
ثم عادت تنظر من نافذة السيارة، متظاهرة بالهدوء، بينما كان قلبها يخفي وراء ذلك الهدوء سعادة لم تستطع الكلمات أن تصفها.
ظلّا يتحدثان على هذا النحو حتى وصلت رينا إلى سكنها.
وما إن توقفت السيارة أمام المكان حتى شعرت بأنها تعيش واحدة من أسعد لحظات حياتها.

فتحت الباب، ثم التفتت إليه وقالت بابتسامة عفوية:

ـــ اتفضل معايا يا كابتن.

ابتسم لها وقال:

ـــ شكرًا خالص يا رينا.

ثم أضاف:

ـــ هستنى أشوف الحلقة.

— حاضر.

وقفت رينا أمام سكنها، ولوّحت له بيدها مودعة:

— باي.

لوّح لها الكابتن، ثم انطلقت السيارة مبتعدة، وظلت عيناها معلقتين بها حتى اختفت من أمامها.

الفصل السابع

دخلت رينا إلى سكنها، وأغلقت الباب خلفها، ثم أسرعت إلى غرفتها. ألقت بنفسها على سريرها، وظلت للحظات تحدق في السقف، غير قادرة على استيعاب ما حدث.

ثم قالت لنفسها، وكأنها تحاول التأكد من الحقيقة:

— أنا بحلم، صح؟

وضعت يدها على وجهها، ثم جلست فجأة وهي تبتسم بعدم تصديق.

معقول أنا شوفته فعلًا؟ قعدت جنبه؟ وسلمت عليه؟

راحت تستعيد تفاصيل اللقاء في ذاكرتها، وكأنها تشاهد المشهد من جديد.

وعيني جت في عينيه... عينيه السوداوين الواسعتين المجرورتين... وسلم عليّا بإيده... وإيدي لمست إيده الناعمة والحنينة. مثله..

ثم أغمضت عينيها للحظة، وكأنها تستطيع استعادة الرائحة التي علقت بذاكرتها.

وريحة برفانه... اللي لسه جوه قلبي، مش بس في أنفي.

ابتسمت وهي تهز رأسها بعدم تصديق.

عرفت بقى ليه عنده معجبات كتير.

ثم تذكرت عمره، وقالت في نفسها بدهشة:

وسن إيه اللي بيقولوا عليه؟ دانا متهيألي إنه أربعين سنة أصلًا! بس هو قال إنه قرب على المعاش في الحلقة... بس إزاي؟

راحت تتأمله في ذاكرتها، وتذكرت ملامحه وهيئته.

شكله وجسمه وصحته مش باين عليهم خالص... بالعكس، شكله صغير.

ثم ابتسمت وحدها، وقالت في سرها:

وكل اللي فيه يتحسب بالسنتيمتر، الوقت، والوزن، والطول، والجمال.

ضحكت بخفوت، ثم أضافت وهي شاردة:

بجد... أحسن من الرجالة الأتراك، رغم إن جمالهم في المسلسلات يخلي الواحد يحتار.

وسرعان ما انتبهت لما تقوله، فضحكت بخجل، ثم تمتمت:

— يا نهار أبيض... أنا بقول إيه؟

سكتت قليلًا، ثم عادت أفكارها إليه من جديد.

نطقه لاسمي يا رينا... يا قلب، وعيون، وروح... وكل رينا إنت.

ساد الصمت في الغرفة للحظات، قبل أن تتذكر شيئًا آخر.

بس برضه... أنا ماشوفتش في إيده دبلة.

اعتدلت في جلستها، وكأن الفكرة فجأة أصبحت مهمة للغاية.

مش عارفة بقى... يمكن أشوف، يمكن ألاقي حاجة على الفيس.

أمسكت هاتفها بسرعة، وفتحت حسابه. هذه المرة لم تكن مجرد متفرجة من بعيد؛ ضمن المتابعين فقط، أنا حاليا واحدة من أصدقائه على الموقع.

بدأت تقلب في منشوراته وصوره وتعليقاته، ثم توقفت عند شيء لفت انتباهها.

كانت ملاحظتها القديمة تعود من جديد.

كان يرد على الفتاتين اللتين اعتادتا التعليق لهما باستمرار، لكن ردوده عليهما كانت مختلفة، وأكثر مما كانت تتصور.

تجمدت ابتسامتها قليلًا، ثم بدأت تتنقل بين التعليقات، تقرأ ردودهما وردوده واحدة تلو الأخرى.

وأخيرًا فتحت حساب كل واحدة منهما.

قالت وهي تحدق في الشاشة:

— دي متجوزة... بس التانية لأ.

ثم عقدت حاجبيها في حيرة.

— بس هو يعرفهم منين؟ ومين دول أصلًا؟

و ظلت تبحث بعينيها في الصور والتعليقات، وكأنها تحاول أن تصل إلى إجابة.

لا قرايب، ولا حاجة... ولا أخواته حتى. مش ملاحظة إن حد من أخواته بيعمل له كومنتات.

ثم توقفت لحظة، وفكرت في الأمر بعقلانية أكبر.

بس عادي... أنا ورنا أختي بنتكلم عادي جدًا، ونادرًا ما بنعمل لبعض كومنت أو حتى لايك.

ابتسمت قليلًا وهي تكمل التفكير:

وفي ناس كتير من المشاهير بيبقوا كده. بيخلوا حياتهم الشخصية، بعيداً عن الإعلام والظهور والكلام ده.

وضعت الهاتف على صدرها، وأخذت نفسًا عميقًا.

كانت تحاول أن تقنع نفسها بأنها لا تبحث وراء شيء، وأن فضولها لا يعني شيئًا.

لكن قلبها كان يعرف الحقيقة جيدًا.

ازدادت مخاوف رينا كثيرًا، وظلت تحدّق في الصور أمامها، وكأنها تحاول أن تجد بينها إجابة عن كل الأسئلة التي تدور في رأسها.

وقالت في نفسها بقلق:
"أكيد مش بيعلّق ليهم وخلاص... أكيد هما غاليين عنده، وعشان كده مميزين."
صمتت للحظات، ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت لنفسها بحسم:
"خلاص... أنا لازم أفكر في نجاحي وبرنامجي. ولابد في يوم أعرف الحقيقة. فالحقيقة مهما طالت، لابد في يوم

تتعرف... وحتى لو ما اتعرفتش على الأرض، هتتعرف فوق في الآخرة."
حاولت أن تطرد تلك الأفكار من رأسها، وعادت تقلب في الصور واحدة تلو الأخرى، حتى توقفت فجأة عند تعليق لفت انتباهها.
كان التعليق من دينا، صديقة أختها رنا.
اتسعت عينا رينا بدهشة، وقالت:
"إيه ده؟! دي دينا معلّقة عندها... أكيد عارفة معلومات وحاجات أنا ما أعرفهاش."
وقبل أن تسترسل أكثر في التفكير، جاءت صديقتها وقطعت عليها شرودها.
— هاي يا رينا.
رفعت رينا عينيها إليها وردّت:
— هاي.
— عاملة إيه؟
— الحمد لله... وإنتِ عاملة إيه؟
— الحمد لله. هدخل أنام بقى، آه، صحيح... جهزتي الحلقة؟
— بعمل فيها؟
ضحكت صديقتها وقالت بحماس:
— يلا بقى، أنا عايزة أكون أول واحدة تشوفها!
ابتسمت رينا وقالت:
— حاضر.

ـــ جود نايت.
ـــ جود نايت.
غادرت صديقتها، وعادت رينا إلى حاسوبها، وأخذت تراجع الحلقة مرة أخرى. كانت حريصة على أدق التفاصيل؛ فكل حلقة بالنسبة إليها لم تكن مجرد عمل تنتهي منه، بل خطوة جديدة تثبت بها نفسها وتقترب أكثر من النجاح الذي طالما حلمت به.
وبعد وقت طويل، انتهت أخيرًا من تجهيز الحلقة، وأصبحت جاهزة للرفع.
لكن، وكعادتها، وقبل أن ترفعها، قررت أن ترسلها أولًا إلى صاحب الحلقة حتى يراجعها، فقد كانت تفضّل دائمًا أن تتأكد من رضاه قبل نشرها.
فتحت المحادثة وكتبت:
ـــ مساء الخير يا كابتن. حضرتك عامل إيه؟
ثم أرسلت الفيديو وأتبعتْه برسالة أخرى:
ـــ ده فيديو الحلقة، أنا جهزته، ولو في أي تعديل أنا تحت أمر حضرتك.
وضعت الهاتف جانبًا، وتركت الرسالة دون انتظار، ثم ذهبت إلى المطبخ لتعد كوبًا من الشاي، كما اعتادت.

الفصل الثامن

كانت تحب تلك اللحظات الهادئة؛ كوب الشاي الدافئ، وصمت الليل، وبعض الوقت الذي تختلي فيه بأفكارها بعيدًا عن ضجيج العمل.
وبينما كانت تعد الشاي، لاحظت أن شاشة هاتفها تضيء وتنطفئ أكثر من مرة.
توقفت للحظة، ثم ذهبت نحو الهاتف.
التقطته وفتحته، فوجدت رسالة من الكابتن.
قرأت الرسالة، ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة، وقالت:
ـــ تمام حضرتك ...في انتظار الرد.
ظلت رينا تفكر طويلًا، لكن عقلها لم يستطع أن يهدأ. كانت تريد أن تعرف الحقيقة، أو على الأقل أن تحصل على خيط صغير يقودها إليها، إلا أن ترددها كان أقوى منها.
مدّت يدها نحو هاتفها، وفتحته لتتصل بدينا، لكنها توقفت قبل أن تضغط زر الاتصال.
ترددت كثيرًا.
ماذا ستقول لها؟ وكيف ستسألها دون أن تفضح فضولها أو تكشف ما يدور بداخلها؟
وبعد لحظات من التفكير، أغلقت شاشة الهاتف، ثم قررت أن تتصل بأختها رنا بدلًا من ذلك.
رن الهاتف، ولم تمر سوى لحظات حتى جاءها صوت أختها من الطرف الآخر.
ـــ رنا، إزيك؟ عاملة إيه؟ وحشاني كتير.

ابتسمت رينا رغمًا عنها، وما إن سمعت صوت أختها حتى شعرت بشيء من الدفء يسري في قلبها.
ـــ قلب أختك... وإنتِ وحشاني أكتر.
ـــ عاملة إيه؟ وماما وبابا عاملين إيه؟ طمنيني عليكم.
ـــ الحمد لله، كلنا بخير. إنتِ إيه أخبارك؟ وأخبار البرنامج؟
ـــ الحمد لله.
ترددت رينا لحظة، ثم قالت وكأنها تفتح باب الحديث من بعيد:
ـــ أنا بعمل حلقة عن الكابتن سعيد... تعرفيه؟
سألتها رنا باستغراب:
ـــ سعيد مين؟
ـــ سعيد صالح.
ساد صمت قصير، ثم أجابت رنا ببساطة:
ـــ آه، بسمع عنه من البنات.
تعلقت رينا بتلك الجملة، وبدأت تتحدث مع أختها عن الكابتن سعيد، وتحاول أن تستدرجها إلى الحديث عنه بطريقة غير مباشرة.
كانت تسأل وتستمع، وتحاول أن تلتقط من بين الكلمات أي معلومة قد تساعدها في فهم شيء لم تستطع أن تفهمه حتى الآن.
لكن بين كلمات أختها العابرة، وقعت على مسامعها حقيقة لم تكن تتمنى معرفتها عن الكابتن.

و شعرت بأن شيئًا بداخلها انكسر قليلًا، فحزنت رينا كثيرًا، لكنها حاولت أن تتماسك، وألا تسمح لصوتها أن يفضح مشاعرها أمام أختها.
ابتلعت ريقها، ثم قالت محاولة أن تجعل نبرتها طبيعية:
ـــ عشان أنا عاملة معاه حوار صحفي وكده بس.
ـــ آه.
لم تعرف رينا ماذا تقول بعدها، فاكتفت بالصمت لحظات.
ثم جاء صوت رنا محملًا بالحب والدعاء:
ـــ مستنية أشوف الحلقة... ربنا يوفقك دايمًا يا قلب أختك.
ابتسمت رينا بحزن، وقالت:
ـــ تسلميلي يا حبيبتي، وربنا معاكي دايمًا يا رب.
ثم أضافت بحنان:
ـــ وسلميلي على ماما وبابا، وخلي بالك من نفسك.
ـــ وإنتِ كمان، وربنا يحافظ عليكي.
ـــ ويحافظ عليكم يا رب.
ـــ باي حبيبتي.
ـــ باي يا قلب أختك.
انتهت المكالمة، وبقيت رينا للحظات تنظر إلى شاشة هاتفها في صمت.
كانت تحاول أن تقنع نفسها بأن الأمر لا يعنيها، وأنها لم تتصل بأختها إلا للاطمئنان عليها، وأن كل ما يتعلق بالكابتن سعيد لا يشغل بالها سوى من أجل الحلقة.

لكن قلبها كان يعرف الحقيقة التي كانت تحاول هي نفسها الهروب منها.
أغلقت الهاتف ببطء، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم رفعت عينيها إلى الفراغ أمامها.
كانت الأسئلة لا تزال في رأسها...
انتهت المكالمة، لكن تفكير رينا لم ينتهِ.
ظلت تحدّق في شاشة هاتفها و تقلب في صفحة الكابتن من جديد، وكأنها تبحث بين كلماته وصوره عن إجابة لشيء لم تستطع حتى الآن أن تحدده.
وبينما كانت شاردة، ظهرت أمامها رسالة جديدة، من الكابتن:
-رينا، حقيقي بحيّيكي كتير على الحلقة، وحابب بعد إذنك أرن عليكي لو وقتك يسمح.
توقفت للحظة أمام الرسالة، وشعرت بقلبها يخفق بطريقة أربكتها، قبل أن تكتب سريعًا:
_حاضر.
لم تمر ثواني حتي رن هاتفها:
_إزيك يا رينا؟ عاملة إيه يا حبيبتي؟
حاولت أن تجعل صوتها طبيعيًا وهي تجيب:
-الحمد لله.
جاء صوته دافئًا كعادته، يحمل ذلك الاهتمام الذي كانت تحاول بكل قوتها ألا تمنحه أكثر مما تفرضه علاقتهما.

-حقيقي حلو... وحلو أوي اللي إنتِ بتعمليه، وألف مبروك. الحلقة حلوة أوي وعجبتني خالص.
ابتسمت رينا رغمًا عنها، وقالت بعفوية:
-الله يبارك في حضرتك... ده عشان معمولة مع حضرتك.
ضحك بخفة، ثم قال بنبرة مازحة، لكنها لم تخلُ من عتاب:
-كلك ذوق دايمًا... رغم إني زعلان منك.
تغيرت ملامحها في لحظة، واختفت ابتسامتها لتحل محلها دهشة ممزوجة بحزن.
-زعلان مني أنا؟ ليه؟
-عشان كلمة «حضرتك» كل شوية. إحنا اتفقنا على إيه؟
شعرت بالحرج، فأجابت بصوت خافت:
-آه... آسفة.
سكت قليلًا، وكأن شيئًا في نبرتها أثار انتباهه.
-مالك؟ في حاجة؟
أسرعت بالنفي:
-لا.
لكنه لم يقتنع بسهولة، فقال بنبرة أكثر هدوءًا:
-أصل حاسس إن صوتك متغير... أو في حاجة مش زي لما شوفتك المرة اللي فاتت.
تجمدت رينا للحظة.

كان يكفيه أن يقول جملة واحدة كهذه حتى تشعر أن كل ما حاولت إخفاءه قد انكشف فجأة. ابتلعت ارتباكها، وحاولت أن تستعيد تماسكها، متظاهرة بأنها بخير، وأن شيئًا لم يحدث.
-آه... آسفة.
لم تعرف ماذا تقول غيرها.
ساد صمت قصير بينهما، قبل أن يتحدث هو بنبرة حاول أن يجعلها عادية:
-عمومًا، ربنا معاكي، ومش هاخد من وقتك كتير. وربنا يوفقك دايمًا يا رب.
تعلقت الكلمات في قلبها للحظة، لكنها لم تجد الجرأة لتقول أكثر مما ينبغي.
"وأنت كمان... وربنا معاك."
-"باي باي."
-"باي."

الفصل التاسع

كانت رينا، رغم فرحتها الكبيرة بالرسالة، تشعر باختناق كلما تذكرت كلمات صديقات أختها. حاولت أن تنهي المكالمة سريعًا، وكأنها تهرب من أفكارها قبل أن تتمكن منها أكثر.

وضعت هاتفها بجوارها، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت لنفسها بإصرار:
ـــ أكيد هعرف كل حاجة... ومهما طالت مدة الصمت، لابد في يوم الحقيقة تظهر، زي الشمس في وضح النهار. ومش هنسي برنامجي... لازم أفوق وأكمل وأنجح... لازم أنجح.
مدّت يدها إلى هاتفها مرة أخرى، ورفعت الحلقة، ثم جهزت لنفسها كوبًا من الشاي وبعض اللب الأسمر، وجلست أمام هاتفها تحاول أن تروّج لحلقتها على العديد من الصفحات الشهيرة.
ولم تمضِ سوى دقائق حتى بدأت التفاعلات تنهال عليها. إعجابات، وتعليقات، ومشاركات كثيرة، وكأن الحلقة وجدت طريقها سريعًا إلى الجمهور.
وفوجئت بأن الكابتن نفسه قام بمشاركة الحلقة على ملفه الشخصي.
توقفت عيناها عند اسمه للحظات، وشعرت بقلبها يخفق دون إرادة منها.
ثم وجدت أن إحدى الفتاتين قد شاركت الفيديو أيضًا على صفحتها الشخصية، بينما الأخرى نادرًا ما كانت تضع إعجابًا أو تعليقًا على أي شيء. لكن الأمر كان مختلفًا معها.
ظلت رينا تحدق في الشاشة، وأخذ عقلها ينسج الاحتمالات من جديد.

فيه بنات أذكياء جدًا... ممكن يتصرفوا بطريقة تخلي محدش يلاحظ عليهم أي حاجة، ولا يعرف إذا كان بينهم وبين شخص معين أي شيء.

ويمكن كمان بيتكلم معاها وبيهتم بيها أكتر من مايا بمراحل.

وكانت تعليقاته لإنجي دليلًا جعل الفكرة تبدو أكثر واقعية في رأسها، على عكس مايا، التي كانت هي الأكثر تفاعلًا معه؛ تضع الإعجابات والتعليقات وتشارك منشوراته أكثر.

وفوق كل ذلك، كانت رينا تتذكر ما أخبرتها به أختها من قبل... أنه يعز إنجي أكثر من مايا بكثير.

شعرت بالاختناق من جديد، وأبعدت الهاتف عن وجهها، ثم تمتمت بيأس وحزن:

ـــ وأنا مالي أصلًا؟ طبيعي عنده حياته الخاصة... وكل واحد يحب اللي هو عايزه.

ألقت الهاتف بجوارها، ثم استسلمت لأفكارها، وألقت بجسدها على السرير، تحدق في السقف بشرود.

لم تكن تريد أن تفكر فيه، لكنها كلما حاولت الهروب منه، وجدته حاضرًا في كل تفاصيل يومها.

وفجأة، قطع شرودها طرق خفيف على الباب، أعقبه صوت تعرفه جيدًا:

ـــ رينا؟

اعتدلت في جلستها ومسحت عن وجهها آثار الحزن سريعًا.

ـــ أهلًا يا توتا.

دخلت توتا الغرفة، ونظرت إليها قليلًا قبل أن تسأل:
ـــ عاملة إيه؟ مالك؟
ابتسمت رينا ابتسامة باهتة وقالت:
ـــ مفيش... قولت أرتاح شوية.
اقتربت منها توتا وقالت بحماس:
ـــ تيجي نخرج؟
هزت رينا رأسها في رفض.
ـــ لا.
ـــ رينا، يلا بقى! أنا أغلب الأسبوع شغل، شغل... نخرج شوية مع صحابنا.
ـــ لا، خليني قاعدة.
تنهدت توتا، ثم رفعت يديها باستسلام.
ـــ براحتك... باي.
ـــ باي.
خرجت توتا من الغرفة، وعادت رينا إلى وحدتها من جديد.
نهضت بعد لحظات واتجهت إلى المطبخ لتجهز لنفسها كوبًا آخر من الشاي. وقفت أمام الغلاية شاردة، تحاول أن تجد طريقة تملأ بها ذلك الفراغ الذي تركته الأفكار في رأسها.
كانت تعرف أن جلوسها وحدها لن يؤدي إلا إلى شيء واحد...
أن تفكر في الكابتن أكثر.

وضعت كوب الشاي أمامها، ثم نظرت إليه للحظات وكأنها اتخذت قرارًا أخيرًا.

ـــ ليه لأ؟

ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت بإصرار:

ـــ أنا لازم أشتغل.

كانت بحاجة إلى شيء يشغل عقلها، شيء يجعلها تنظر إلى الأمام بدلًا من أن تظل عالقة في أسئلة لا تملك لها إجابات.

قررت رينا أن تبحث عن عمل بالفعل، وظلّت تتصفح الجروبات وتبحث هنا وهناك، حتى وجدت عملًا داخل أحد المطاعم. كان وقت العمل مناسبًا جدًا لبرنامجها، فقررت أن تخوض التجربة، وقالت لنفسها:

«كده حلو... أشغل نفسي، وفي نفس الوقت أزود دخلي جنب فلوس البرنامج.»

وفي صباح اليوم التالي، ذهبت إلى العمل. وبمجرد أن وصلت إلى السكن، وجدت رسالة على هاتفها.

الكابتن:

_رينا، إزيك؟ عاملة إيه دلوقتي؟ طمنيني عليكي.

ظلت تنظر إلى الرسالة للحظات، وكأنها تحاول أن تقرأ ما وراء كلماتها. لكنها سرعان ما حسمت أمرها وقالت في نفسها:

«الأفضل أكلمه عادي، وأعتبر نفسي ماعرفتش أي حاجة عنه. أكتفي باللقاء اللي حصل بينا، وأفصل بين قلبي وعقلي

شوية... وفي النهاية أنا ليا اللي بشوفه منه معايا، حياته الشخصية براحته.»
حاولت أن تسيطر على أفكارها، ثم كتبت:
-الحمد لله... عامل إيه يا كابتن؟
لم تمر سوى لحظات حتى جاءها رده:
-أنا سايق العربية... ينفع أرن؟
ترددت رينا قليلًا، قبل أن تكتب:
-تمام، اتفضل.
رن هاتفها، وبمجرد أن أجابت، بدأ الحديث بينهما. مرّت الدقائق سريعًا، وتحولت المكالمة إلى حديث طويل، امتد لما يقارب الساعة، دون أن تشعر رينا بمرور الوقت.
كان صوته هادئًا، وطريقته في الكلام تحمل اهتمامًا واضحًا بها. كان يسألها عنها، وعن يومها، ويستمع إليها باهتمام جعلها تشعر بشيء لا تريد أن تعترف به حتى لنفسها.
لكن الوقت لم يسمح لهما بإكمال الحديث، فاتفقا على أن يستكملا كلامهما في وقت آخر، ثم انتهت المكالمة.
وضعت رينا هاتفها جانبًا، لكنها لم تستطع أن تضع أفكارها جانبًا معه.
ظلت تفكر في الكابتن كثيرًا، وفي اهتمامه بها، وفي الطريقة التي تحدث بها معها. كانت هناك تفاصيل صغيرة، ربما لا تعني شيئًا، لكنها بالنسبة لقلبها كانت تعني الكثير.
ومع ذلك، حاول عقلها أن يعيدها إلى أرض الواقع.

قالت لنفسها:
«ما يمكن ده العادي بتاعه... هو أصلًا شكله لسانه حلو مع الكل. لما بيعمل معايا كده، أومال مع البنتين التانيين بيعمل إيه؟»
توقفت أفكارها عند تلك النقطة.
شعرت بوخزة في قلبها، وحاولت أن تتجاهلها، لكنها لم تستطع. ربما لم تكن تملك حق الغيرة أصلًا، فهي لم تكن تعرف عنه شيئًا، ولم يكن بينهما ما يسمح لها بأن تطلب منه شيئًا.
لكن القلب لا يعرف كثيرًا عن الحقوق.
حزنت رينا، وصمتت طويلًا. ثم فتحت صفحته، ونظرت إليها للحظات، وكأنها تنتظر أن تجد فيها إجابة عن كل الأسئلة التي تدور في رأسها.
لكنها في النهاية أغلقت الصفحة، وأغلقت هاتفها تمامًا.
وضعت الهاتف بعيدًا، وأغمضت عينيها للحظات، ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت لنفسها:
«خلاص يا رينا... كفاية تفكير.»
نهضت من مكانها، واتجهت إلى المطبخ لتعد كوبًا من الشاي، وتحاول أن تشغل نفسها بباقي احتياجاتها، لعلها تستطيع أن تُسكت ذلك الصوت الصغير في داخلها...
الصوت الذي بدأ يسألها، رغمًا عنها:

هل اهتمام الكابتن بها مجرد طبع فيه... أم أنها أصبحت تعني له شيئًا؟
لكن الحقيقة أن رينا أحبت ذلك كثيرًا، وربما أكثر مما ينبغي. فهي تحبه منذ زمن، حبًا ظل مخبأً في أعماقها، لا يعرف عنه شيئًا. ومنذ البداية، كانت تحاول بكل ما لديها أن تخفي مشاعرها، وأن تظهر أمامه وكأن الأمر عادي، وكأن وجوده في حياتها لا يعني لها أكثر مما ينبغي.
ومع مرور الوقت، بدأت الرسائل بينهما تتكرر من حين إلى آخر؛ مرة تبدأ هي الحديث، ومرة يبادرهو. ثم تطورت الرسائل إلى مكالمات طويلة، تمتد بالساعات، حتى أصبحت رينا لا تشعر بالوقت إلا عندما تنظر إلى الساعة فتكتشف كم مضى من الوقت، أو ترى مدة المكالمة فتندهش.
كانت تبتسم أحيانًا وهي تتذكر كيف كانت تفكر فيه قديمًا.
-زمان كنت بقول: لما أشوفه بس وأسلم عليه هكتفي... وبالفعل سلمت عليه. شوفته، بقيت عايزاه أكتر، وبيوحشني أكتر، وبفكر فيه أكتر.
ثم تضحك بحسرة وتكمل حديثها مع نفسها:
-قلت خلاص، بس أكلمه ويضيفني ونتواصل... ولما حصل كده، بقيت برضه بتوحشه أكتر! مش عارفة حقيقي أنا هكتفي بيه إمتى وإزاي؟
سكتت قليلًا، ثم تنهدت.

-يعني حتى لو كنت جعانة، باكل وبشبع. والعطش برضه له نهاية... أمال هو إيه؟ كل ما أقرب منه أكتر، أبقى عايزة أفضل معاه وقت أطول، وأقرب أكتر. مش عارفة ليه كل ده!

الفصل العاشر

كانت تحاول أن تشغل نفسها بالبرنامج، والعمل، والبيت، وكل التفاصيل الصغيرة في يومها، لكن رغم ذلك، ظل الكابتن حاضرًا في عقلها، يحتل كل ثانية تقريبًا.

ثم قالت لنفسها، وكأنها تبحث عن إجابة مستحيلة:

«هو أنا إمتى هقول إني شبعت منه؟ وإمتى هكتفي؟»

وضعت يدها على وجهها، ثم تمتمت:

-أنا حقيقي بدمنه... مش قادرة. نفسي أبقى معاه على طول، وما يسبنيش لحظة.

ثم ابتسمت رغمًا عنها، وقالت:

«ده أنا مش بحبه ولا بعشقه بس... ده أنا بدمنه. ده إدمان، وأنا مش عايزة أخف منه، ولا عايزة أتعالج.»

كان حبها له قد تجاوز بالنسبة إليها فكرة الإعجاب أو التعلق العابر.

كان هو أول حب حقيقي يسكن قلبها، وربما آخر حب تتخيله في حياتها.

«بحبه... بحبه أوي. ده غالي عندي. ده أول وآخر حب في حياتي. أنا بموت فيه... نفسي أوي أسمع صوته وأشوفه.»
كانت تتنفس بصوت متقطع، وكأن مجرد التفكير فيه يربك أنفاسها. وكلما اشتاقت إليه، فتحت صورته، أو أخذت تقلب في محادثاتهما القديمة، تقرأ كلماته مرة، ثم تعود إليها مرة أخرى، وكأنها تحاول أن تعيش اللحظات ذاتها من جديد.
وفي أثناء تقليبها في المحادثة، وقعت عيناها على رسالة منه:
-رينا صاحية؟
توقفت أنفاسها للحظة.
شعرت بقلبها يقفز داخل صدرها، وحاولت أن تسيطر على نفسها، وعلى قلبها، وعلى عقلها، وعلى كل ما بداخلها.
فكرت سريعًا:
-طيب أكتب إيه؟ أنا أصلًا مستنياه!
وقبل أن تكتب، وصلت رسالة أخرى:
-؟؟؟
اتسعت عيناها، وهمست لنفسها:
-ربنا يستر.
كانت تعرف أنها إذا تحدثت معه في تلك اللحظة، فربما يفضح صوتها كل ما تحاول إخفاءه.
أخذت نفسًا عميقًا، ثم كتبت:
-نعم يا كابتن.

-عاملة إيه؟
-الحمد لله... إنت عامل إيه؟
-الحمد لله. أنا سايق ومروح... أرن؟
توقفت رينا أمام الشاشة، ولم تستطع الرد.
نهضت سريعًا، وذهبت إلى الحمام، وغسلت وجهها بالماء، ثم عادت وأعدّت كوبًا من الشاي، محاولة أن تستعيد هدوءها قبل أن تسمع صوته.
وبعد دقائق، كتبت:
-تفضل.
جاءها الرد سريعًا:
-فينك؟ بعد ما كتبتي سكتي؟
لم تعرف ماذا تقول:
-سوري.
ثم صمتت.
الكابتن:
-كنتي مشغولة؟
ظلت تحدق في الشاشة، ثم قالت في نفسها:
-أقوله إيه طيب؟
وبعد لحظات كتبت:
-لا أبدًا.
ثم رن الهاتف.
أجابت رينا، وحاولت أن تبدو طبيعية قدر الإمكان.

لكن ما إن سمعت صوته حتى عادت كل مشاعرها دفعة واحدة.
كان صوت الكابتن يصلها هادئًا، وبين كلماته كانت تسمع أنفاسه، بينما خيّم الصمت على المكان من حولها. كانت تستمع إليه أكثر مما تتحدث، وتمنت في تلك اللحظة لو أنها معه، تجلس إلى جواره، وتراه أمامها بدلًا من أن تكتفي بصوته عبر الهاتف.
أما الكابتن، فظن أن رينا مشغولة أو أنها لا ترغب في الحديث، فقال:
الكابتن:
-لو مش فاضية ممكن نتكلم في وقت تاني.
جاء ردها عفويًا، قبل أن تفكر:
-لا... معاك.
صمت لحظة، ثم قال:
-عايز أشوفك... إيه رأيك في مطعم بيعمل بيتزا تحفة؟
تجمدت رينا في مكانها.
لم تصدق ما سمعته أذناها.
شعرت وكأن كل الكلمات اختفت من رأسها، وحاولت أن تستجمع قواها، ثم قالت بصوت هادئ تخفي خلفه ارتباكًا كبيرًا.
-حاضر.

بدأا يتحدثان عن الموعد والمكان، حتى اتفقا على أن يلتقيا يوم السبت القادم.
وبعد أن اتفقا، أنهى الكابتن المكالمة.
وضعت رينا الهاتف جانبًا، وظلت للحظات تحدق أمامها دون حركة.
كان السبت القادم لا يزال بعيدًا...
لكن قلبها بدأ يعيش الموعد من الآن.
وظلت تقول لنفسها طوال الليل:
ـــ هشوفه... وهكون معاه، وهقعد تاني جنبه في العربية، وهشمّ ريحة برفانه، وهسلّم عليه... وإيديا تلمس إيديه.
دقّ قلبها بعنف، وتسارعت أنفاسها تارة، ثم هدأت وأبطأت تارة أخرى. كانت تشعر بأنها لا تصدّق نفسها ولا ما تسمعه من أفكارها.
ـــ أنا مش مصدقة نفسي! بس هلبس إيه؟
وقفت أمام خزانتها، وأخذت تقيس ملابسها قطعة تلو الأخرى، لكن الحيرة لم تفارقها. وفي النهاية حسمت أمرها.
ـــ لا، أنا لازم أروح أشتري طقم جديد.
وبالفعل، انتظرت ساعات حتى تفتح المحال، ثم غلبها النعاس، فنامت وكل أفكارها تدور حوله...
نامت على صوتِه، وعلى صدى أنفاس الكابتن التي ظلت عالقة في ذاكرتها، بينما ظل سؤال واحد يطاردها: ماذا سترتدي عندما تراه؟

استيقظت في الصباح، وحمدت الله أنها في إجازة من المطعم، ثم خرجت مسرعة لشراء ملابس جديدة.
دخلت أحد المحال وظلت تتنقل بين الأطقم بحيرة.
ـــ أنا أول مرة أبقى مش عارفة أجيب إيه كده... يا رب!
كانت كلما ارتدت طقمًا، تخيلت نفسها أمام الكابتن، ثم ظلت تتساءل: هل سيعجبه؟ هل سيلاحظها؟ هل سيبدو عليها جميلًا؟
ـــ لا... ده مش حلو.
ثم ارتدت آخر.
ـــ ولا ده؟
وظلت على هذه الحال حتى أرسلت صور الأطقم إلى أختها، تستشيرها في اختيارها. وبعد عناء طويل، استقرت أخيرًا على طقم رأت أنه الأنسب والأجمل. ولم تكتفِ بذلك، بل اشترت أرقي وأجمل عطر فرنسي استطاعت العثور عليه.
ثم ذهبت إلى الكوافير، وعادت بعدها إلى سكنها وهي تحمل حقيبتها وقلبها يحمل ألف حلم.
أغلقت باب غرفتها، وأخرجت الطقم من الحقيبة، ثم ارتدته أمام المرآة. أخذت تدور أمامها قليلًا، وتعدل شعرها، ثم تتخيل وجه الكابتن عندما يراها.
كانت غرفتها تساعدها على الحلم؛ إضاءة خافتة، وسرير هادئ، وهاتفها الذي امتلأ بصوره ومحادثاته وصفحته على فيسبوك.

جلست على السرير، وأخذت تنظر إلى صورته طويلًا.
ـــ هشوفه بكرة بقى... والمرة دي غير المرة اللي فاتت. إحنا بقينا صحاب. مش زي المرة اللي فاتت، لما كان الموضوع كله شغل، وماكنش يعرفني أصلًا.
سكتت لحظة، ثم تنهدت.
ـــ رغم إني بحبه ...
لكن فرحتها لم تكن وحدها في قلبها؛ كان الخوف يزاحمها بشدة.
ـــ بس أنا خايفة... خايفة أوي. خايفة ماقدرش أسيطر على نفسي، ويبان عليّا كل حاجة.
هو هيقول عليّا إيه؟
تذكرت حديثه معها من قبل، حين أخبرها عن بعض الفتيات اللاتي كنّ معجبات به، وتذكرت طريقته في الحديث عنهن، وكيف كان يفكر تجاههن.
ـــ أنا عارفة تفكيره بيكون إزاي من ناحيتهم... خايفة يعمل معايا كده. خايفة يشوفني زيهم. خايفة أوي من مقابلته، رغم إني نفسي فيه.
وضعت يدها على قلبها، وكأنها تحاول أن تهدئ خفقاته.
ـــ بس أنا اتوحشته... أوي. نفسي أشوفه، ونفسي ألمس إيديه تاني.
ثم أغمضت عينيها، فعادت إليها صورته كما رأته آخر مرة؛ عيناه السوداوان، ونظرته الحادة والقوية التي تشبه نظرة

الصقر، وجسده الرشيق، وشعره الكثيف، وملامحه التي كانت تراها أجمل من أي شيء آخر.
وكان أكثر ما يعلق في ذاكرتها لسانه الجميل؛ طريقته في الكلام التي تجعل كل فتاة تتحدث معه، أو حتى تراه، تنجذب إليه وتعجب به سريعًا.
أما رائحة عطره، فكانت حكاية أخرى.
كلما تذكرتها، شعرت وكأنها تعود إلى تلك اللحظة من جديد، فتتنفسها في خيالها وتذوب فيها.
ـــ كل حاجة فيه حلوة...
ابتسمت بحب، ثم همست:
ـــ وأنا بحبه... مهما يعمل فيّا، ومهما يوجعني بكلامه أوقات... بحبه.
استلقت رينا على سريرها، ووضعت رأسها على وسادتها، ثم أمسكت هاتفها. وكعادتها، بدأت تقرأ محادثاتهما من جديد، تنتقل من الشات إلى صوره، ثم إلى صفحته على فيسبوك، دون أن تشعر بالوقت.
كانت تبتسم مرة، وتتنهد مرة أخرى، حتى ثقلت عيناها وغلبها النوم.
وفي آخر لحظة قبل أن تغفو، لم يكن في عقلها سوى شيء واحد:
غدًا... ستراه .

الفصل الحادي عشر

استيقظت رينا في الصباح، ونهضت مسرعة من سريرها، وكأن قلبها سبقها إلى ذلك اليوم المنتظر. ارتدت ملابسها على عجل، ثم ذهبت إلى السوبر ماركت وأحضرت كل ما تحتاج إليه. عادت بعدها، وتناولت فطورها، ثم أعدّت لنفسها كوبًا من الشاي وجلست قليلًا.

كانت تحاول أن تبدو هادئة، لكن قلبها كان يفضحها.

كانت حائرة، خائفة، وقلقة، وفي الوقت نفسه تتمنى بشدة أن تراه. خليط غريب من المشاعر اجتمع داخلها حتى لم تعد تعرف أيّها أقوى من الآخر.

ظلت تجهز نفسها، تعدّل شعرها، وتنظر إلى ملابسها أكثر من مرة، ثم تعود لتطمئن إلى كل شيء من جديد. وأخيرًا، انتهت من استعدادها، واتجهت إلى المطبخ لتعد كوبًا آخر من الشاي، لعلها تهدئ قليلًا من ارتباكها.

لكن هاتفها رن.

نظرت إلى الشاشة، فتوقفت أنفاسها للحظة.

الكابتن.

حاولت أن تسيطر على نفسها، ثم ردت سريعًا:

ـــ ألو؟

جاءها صوته الذي اشتاقت إليه:

ـــ رينا؟

ابتلعت ريقها وقالت:

ـــ نعم؟
ـــ أنا برّه حبيبي، مستنيكي.
تسارعت دقات قلبها أكثر، لكنها حاولت أن تجعل صوتها طبيعيًا.
ـــ حاضر، طالعة.
ـــ يلا، باي.
ـــ باي.
أغلقت الهاتف، وظلت للحظات تنظر إليه وكأنها تحاول استيعاب أن اللحظة التي كانت تنتظرها قد جاءت بالفعل.
ثم خرجت.
كان الكابتن في انتظارها أمام السيارة.
رفعت عينيها إليه، وحاولت أن تخفي ارتباكها بابتسامة صغيرة.
ـــ إزيك يا كابتن؟
ابتسم لها وقال:
ـــ إزيك يا رينا؟
ثم فتح لها باب السيارة.
وفي تلك اللحظة، لم تستطع رينا أن تمنع نفسها من ملاحظة نظراته إليها. شعرت بإعجابه بجمالها، وبملابسها، وبهيئتها، ورأت ذلك واضحًا في عينيه.
فرحت كثيرًا.

لم تكن تحتاج إلى كلمة واحدة منه؛ نظرة عينيه كانت كافية لتجعل قلبها يرقص فرحًا.
وقالت في سرها:
"وأنا لا أريد إلا أن أكون جميلة في عينيك... فأنت بالنسبة لي العالم أجمع. أريد أن أرى نفسي من خلالك، فأنت نافذتي إلى هذا العالم."
دخلت السيارة، وما إن جلست حتى استنشقت رائحة عطره التي ملأت المكان. احتضنتها الرائحة قبل أن تحتضن عيناها ملامحه.
ثم مدّ يده إليها.
مدّت رينا يدها بتردد، وصافحته.
وفي اللحظة التي تلامست فيها أيديهما، شعرت بحرارة تسري في جسدها كله. ارتبكت، وخجلت، وابتلعت ريقها بصعوبة، ثم حاولت أن تسحب يدها سريعًا.
لكنه شعر بارتباكها.
قال بهدوء:
ـــ عاملة إيه دلوقتي؟
أجابت وهي تحاول أن تجمع شتات نفسها:
ـــ الحمد لله.
ثم سألته:
ـــ وإنت عامل إيه؟
ـــ الحمد لله.

ساد الصمت بينهما.
جلست رينا تحاول بكل قوتها أن تخفي ما يحدث بداخلها.
اتجهت بعينيها إلى النافذة، وكأنها وجدت فيها مهربًا من نظراته ومن قلبها الذي لم يعد يطيعها.
لاحظ الكابتن توترها، ففتح لها زجاج النافذة.
اندفع الهواء إلى داخل السيارة، ولامس وجهها وشعرها، لكنها لم تنتبه إلى الطريق ولا إلى الأشجار التي كانت تمر بجوارها، ولا إلى المنازل المتناثرة على جانبي الطريق.
لم تكن ترى شيئًا حقًا.
كانت كل محاولاتها منصبة على شيء واحد فقط: أن تهدئ نبضات قلبها، وتسيطر على ملامح وجهها، وتخفي حرارة جسدها، وتستعيد هدوءها الذي فقدته منذ أن سمعت صوته عبر الهاتف.
أخذت نفسًا عميقًا، ثم أغلقت عينيها.
وكأنها بذلك تستطيع أن تهرب قليلًا من كل ما تشعر به.
لكنها لم تستطع الهروب من قلبها.
وقاطع صوتُ الكابتن أفكارها قائلًا:
— على فكرة يا رينا...
انتفضت رينا من شرودها، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم نظرت إليه بدهشة.
ابتسم لها وقال بهدوء:
— إنتِ حلوة أوي بجد.

شعرت رينا بحرارةٍ تصعد إلى وجهها، فخجلت بشدة، واحمرّت وجنتاها، وأنزلت عينيها إلى الأرض. تجمّدت للحظات، وابتلعت ريقها، ثم أغمضت عينيها محاولةً السيطرة على ارتباكها.
لكنها لم تستطع.
كان قلبها يخفق بعنف، وأنفاسها تتسارع، وكأنها فقدت السيطرة على كل ما فيها. شعر الكابتن بارتعاش يدها، فأمسك بها برفق، وكانت يده دافئة بصورة جعلت ارتباكها يزداد.
حاولت رينا مرارًا أن تستعيد تماسكها، وأن تخفي ما تشعر به، لكن كل محاولاتها باءت بالفشل. لم تعد تملك القدرة على التحكم في مشاعرها أو جسدها كما اعتادت.
وفي تلك اللحظة، نسيت كل شيء.
لم يبقَ في ذهنها سوى شيء واحد...
أنها بجواره، وأن يدها داخل يده، وأنها تحبه، وتتمنى قربه أكثر مما تستطيع الاعتراف به حتى لنفسها.
ولم تستطع في تلك اللحظة أن تفعل شيئًا سوى أن تستسلم .
لاحظ الكابتن خجلها الشديد، فحاول أن يخفف عنها، وضغط على يدها برفق وقال:
— رينا...

ابتلعت ريقها، وحاولت أن تستجمع بعضًا من شجاعتها حتى تستطيع الرد عليه، لكنها لم تجد الكلمات. رفعت وجهها أخيرًا ونظرت إليه.

سألها باهتمام:

ـــ إنتِ كويسة؟

هزّت رأسها سريعًا، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت بصوت خافت:

ـــ الحمد لله.

حاولت أن تتمالك نفسها أكثر، فغيّرت وضعية جلوسها، وسحبت يدها من يده برفق، وكأنها تحاول أن تستعيد وعيها بما يحدث حولها.

لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة.

كانت رائحة عطره تحيط بها، فتزيد ارتباكها وتجذب انتباهها إليه دون إرادة منها؛ رائحةٌ بدت لها في تلك اللحظة كأنها مخدّر يسلبها قدرتها على التفكير، ويجعل مقاومتها لمشاعرها أكثر صعوبة.

أخذت نفسًا آخر، وأغمضت عينيها للحظة، محاولةً أن تستعيد سيطرتها على نفسها...

توقفت السيارة فجأة، فشهقت رينا وقالت بصوتٍ امتلأ بالخوف والقلق:

ـــ كابتن!

ومن شدة خوفها عليه، وجدت نفسها ترتمي بين ذراعيه دون أن تشعر، وكأنها كانت مستعدة لأن تموت هي، ولا يصيبه هو بأذى. ابتلعت ريقها، وما إن أدركت أنها أصبحت في حضنه حتى شعرت بحرجٍ شديد، فسارعت إلى الابتعاد عنه، وسحبت جسدها إلى مكانها من جديد.

ساد الصمت للحظات...

لكن جسد رينا لم يعرف الصمت أبدًا؛ فقد كانت أنفاسها تتعالى، وضربات قلبها تتسارع حتى خُيّل إليها أنها ستخرج من مكانها. وكان الكابتن يشعر بارتباكها، وهو ما جعل خجلها يزداد أكثر.

راحت تحدث نفسها في قلق:

هيقول عليَّا إيه؟! أنا كنت هموت عشان هو يعيش... خلاص، بقى أكيد اللي بحس بيه وصله. هيشوفني إزاي دلوقتي؟ وهيقول عليَّا إيه؟

وقبل أن تسترسل أكثر في أفكارها، جاء صوت الكابتن ليقطع شرودها، ويوقف تأنيب ضميرها وضجيج قلبها:

— رينا...

صمتت لحظة، وابتلعت ريقها، ثم أجابت بصوتٍ خافت:

— نعم؟

نظر إليها الكابتن للحظات، ثم قال بصدقٍ واضح:

ـــ أنا حقيقي مش عارف أقولك إيه. مهما فضلت أشكر فيكي، مش هيوفيكي حقك... كفاية إنك حطيتي نفسك مكاني، وكنتي مستعدة تموتي بس أنا أعيش.
هزّت رينا رأسها في صمت، ولم تجد ما تقوله. ثم قالت بهدوء:
ـــ خلي بالك من نفسك يا كابتن.
ابتسم ابتسامة خفيفة، ثم قال محاولًا تفسير ما حدث:
ـــ أنا أول مرة تحصل معايا... عشان دي أول مرة أقعد جنبي بنت، وشعرها الطويل يدخل جوه عينيَّ، وكان كله على وشي، فماقدرتش أسوق، فوقفت.
حاولت رينا أن تتماسك أمام كلماته، ثم قالت بسرعة:
ـــ آسفة.
ورفعت يدها إلى شعرها، محاولةً أن تجمعه بعيدًا عن وجهه.
لكن الكابتن أمسك بيدها برفق قبل أن تفعل، وقال:
ـــ بس أنا حابب أشوفك كده... هنقفل الشباك بس.
صمتت رينا، ونظرت إليه للحظات، ثم حاولت سحب يدها واستعادة تماسكها وتنقذ كرامتها، وقالت بنبرةٍ حاولت أن تبدو عادية:
ـــ مانا عشان كده مش حبيت أحس بالذنب من ناحيتك، وحطيت نفسي مكانك.
صمت الكابتن، وسادت بينهما لحظة أخرى من الصمت، كانت أثقل من أن تمرّ عابرة.

ثم قال:
ـــ بس إزاي وإنتِ... مش عارفين إيه اللي حصل أصلًا.
توقفت رينا عن الكلام، واحمرّ وجهها دفعةً واحدة. ابتلعت ريقها، واتسعت عيناها، وكأن كلماته أصابت شيئًا كانت تحاول بكل قوتها أن تخفيه.
نظر إليها الكابتن طويلًا، ثم قال بابتسامةٍ صغيرة:
ـــ إنتِ مش عارفة تكذبي يا رينا هههههه.
ازدادت دهشتها، وشعرت بالإحراج يشتد عليها، فخفضت عينيها ولم تعرف بماذا تجيبه.
ولأن الكابتن شعر أنها أصبحت في موقفٍ لا تعرف كيف تخرج منه، قرر أن يخفف عنها، فأشار إلى الطريق أمامهما وقال:
ـــ لاحظتي المطعم اللي عدّينا من جنبه ده؟
رفعت رينا عينيها إليه، وحاولت أن تتصرف وكأن شيئًا لم يحدث، ثم أجابت ببساطة:
ـــ لا.
فاندهش الكابتن، وقال بدهشة:
ـــ إزاي ده مطعم مشهور أوي؟
ثم التفت إليها سريعًا، وقد لاحظ الارتباك الذي غمر ملامحها، وقال:
ـــ رينا، إنتِ كويسة؟
ـــ الحمد لله.

ظل ينظر إليها لحظات، ثم سألها بنبرة أكثر قلقًا:
ـــ مالك؟
ابتلعت ريقها بصعوبة، وأسرعت في الرد، محاولةً أن تخفي ما شعرت به:
ـــ الخَضّة بس... وتأثيرها.
صمت الكابتن، حتى لا يزيد من إحراجها. كان قد فهم شعورها، أو لعلّه بدأ يفهمه أكثر مما أرادت هي أن تُظهره. أما رينا، فحاولت بكل ما تستطيع أن تداري ما تشعر به تجاهه، وأن تخفي ذلك الاضطراب الذي كان يفضحها كلما اقترب منها.
وفي داخله، قال الكابتن:
طول ما هي بتداري أوي كده، ده لوحده بيأكد إن شعورها حقيقي أكتر.
ثم ابتسم لها وقال:
ـــ رينا، إيه رأيك نأكل ماكدونالدز؟
هزّت رأسها بخجل، وقالت:
ـــ حاضر.
نزل الكابتن من السيارة، ثم دار حولها وفتح لها الباب. مدّ يده إليها، فأمسكت بها، وساعدها على النزول. وظل ممسكًا بيدها حتى دخلا المطعم.
كانت رينا تسير إلى جواره بقلب لا يعرف كيف يستقر. كانت تشعر بفرحة لم تعرف مثلها من قبل، وبحب يتسلل إلى

أعماقها في هدوء، حب لم تشعر به طوال حياتها، وكأن وجوده وحده إلى جوارها كان كافيًا ليمنحها عالمًا كاملًا.
نظر إليها الكابتن وسألها:
ـــ تحبي ناكل هنا ولا ناخد الأكل ونأكله في العربية؟
ابتلعت رينا ريقها، وكأن الكلمات علقت في حلقها، ثم قالت بصوت خافت:
ـــ شكرًا.
رفع حاجبيه متعجبًا:
ـــ شكرًا على إيه؟
ـــ مش جعانة.
نظر إليها باستغراب، وقال:
ـــ برضه كده يا رينا؟ ده أنا ما أكلتش من الصبح عشان آكل معاكي. ولا إنتِ مش عايزة تاكلي معايا؟
صمتت، وشعرت أن قلبها يخفق بعنف، ثم قال هو:
ـــ مش عايزة؟
أسرعت تقول:
ـــ مش جعانة.
ابتسم الكابتن، ثم قال برجاء هادئ:
ـــ عشان خاطري.
رفعت رينا رأسها ببطء، ونظرت إليه. التقت عيناها بعينيه القويتين، اللتين كانتا تتسللان إلى أعماقها قبل أن تستقرّا في

عينيها. شعرت أنها عاجزة عن مقاومة ذلك النظر، فهزّت رأسها بالموافقة.
فرح الكابتن، وقال بابتسامة صادقة:
ـــ تعرفي؟ كفاية عليّا إن ليا خاطر عندك.
أغلقت رينا عينيها للحظة، وكأنها تحاول الهروب من تأثير كلماته، ثم صمتت وأنزلت وجهها إلى الأرض، وقد اشتعل الخجل في وجنتيها.
أمسك الكابتن بيدها، وظل يضم عليها بيده في حنان، وكأن لمسته تقول لها ما عجز عن قوله بالكلمات.
لم تستطع رينا أن تقاوم أكثر. كانت تشعر أن قلبها قد امتلأ حتى فاض، وأنها لم تعد بحاجة إلى شيء في تلك الدنيا سوى وجوده إلى جوارها.
وفي تلك اللحظة، لم تكن جائعة أصلًا...
فقد كانت رينا تشعر بشبعٍ من نوع آخر؛ شبعٍ صنعه قربه، واهتمامه، ودفء يده التي احتوت يدها.
وظلت على حالها، غارقة في ذلك الشعور الذي لم تعرفه من قبل، حتى جاء الطعام.
ولأجل محبة الكابتن، وعشان خاطره، حاولت رينا أن تأكل.
ظلّ يتحايل عليها برفق، مرة بالكلام ومرة بالابتسامة، حتى استجابت له وأكلت.
كانت في قمة إحراجها وكسوفها وخوفها في الوقت نفسه. لم تكن معتادة على مثل هذه اللحظات. كانت تلك المرة الأولى

التي تخرج فيها مع رجل صحيح، هو حبيبها، والرجل الذي تتمناه، لكن كل شيء معه كان جديدًا عليها، لدرجة أنها لم تكن تعرف كيف تتصرف على طبيعتها.
أنا مش عارفة أكون على طبيعتي معاه... من كتر اللي حاسّة بيه جوايا.
انتهيا من الطعام، وكان الكابتن يلاحظ أحيانًا شرودها وارتباكها، لكنه لم يضغط عليها. كان يراقبها بصمت، وكأنه يحاول أن يفهم ما يدور داخلها.
وفي السيارة، مدّ يده وأمسك يدها برفق، وقال:
— رينا...
نظرت إليه.
ابتسم وقال:
— أنا مبسوط أوي إني خارج معاكي، وإن ليا خاطر عندك.
ازدادت خجلًا، وانخفضت عيناها دون أن تجد كلمة واحدة ترد بها.

الفصل الثاني عشر

وبعد قليل، جلسا معًا في حديقة هادئة، تحيط بهما الخضرة من كل جانب، وتنساب المياه في مكان قريب بصوت خافت يملأ الجو سكينة.

تحدثا طويلًا. قصّ عليها الكابتن الكثير من تفاصيل حياته، وحكى لها عن مواقف وأشخاص مروا في طريقه، وذكر أسماء كثيرة، لكنه لم يذكر هاتين الفتاتين.
ظلت رينا صامتة، رغم أن بداخلها رغبة كبيرة في معرفة علاقته بهما.
كانت تتمنى أن تسأله:
هو بيعاملهم كده زيي؟ ولا علاقته بيهم إيه بالضبط؟
لكنها لم تستطع.
ثم عادت الفكرة نفسها إلى رأسها:
بس كلمة «حبيبي» و«حبيبتي» هو بيقولها لكل الناس... أنا شوفت ده في الكومنتات بتاعته.
لم تكن تعرف هل ما يفعله معها يحمل معنى خاصًا، أم أنها فقط تراه مختلفًا لأن قلبها متعلق به.
وحلّ الليل شيئًا فشيئًا.
ازداد الهواء برودة، وتعالت همسات المياه، وبدا منظر الخضرة تحت ضوء الليل أكثر سحرًا. ولم يكن الكابتن وحده من ينجذب إلى رينا في تلك اللحظة؛ حتى الطبيعة بدت وكأنها تتآمر على قلبه.
تطاير شعرها الناعم مع نسمات الهواء، وانسابت بعض خصلاته حتى لامست وجه الكابتن.
مدّ يده وأمسك بإحدى خصلات شعرها.

تأملها للحظة، وكأنه فوجئ بملمسها، ثم قال في نفسه إنها تشبه الحرير في نعومتها، وأن رائحتها كانت مزيجًا من عطرها ورائحة الياسمين التي ملأت المكان.
زاد انجذابه إليها، واقترب منها أكثر.
أما رينا، فلم تستطع أن تقاوم.
كان قلبها في تلك اللحظة أقوى من كل حواسها، وأعلى من كل محاولاتها للتفكير. اقتربت منه هي الأخرى، وكأنها تنجذب إليه دون إرادة منها.
ضمّها إلى صدره، فاستسلمت للحظة، وأغمضت عينيها، وكأنها أخيرًا وجدت المكان الذي طالما حلمت به.
لكن رنين هاتفه قطع اللحظة فجأة.
كان صوت الهاتف بمثابة إنذار أعاد رينا إلى الواقع دفعة واحدة.
ابتعدت عنه سريعًا، وارتبكت بشدة. شعرت بالخوف من نفسها، ومن أن يكون قد فهم عنها شيئًا لم تكن مستعدة لقوله، خصوصًا أنهما لم يعرفا بعضهما منذ وقت طويل، رغم أن حبها له كان أكبر بكثير مما تستطيع الاعتراف به.
قالت محاولةً أن تبدو طبيعية:
— إحنا اتأخرنا... يلا بينا.
صمت الكابتن، ونظر إلى هاتفه، لكنه لم يُجب.
راقبته رينا للحظات، ثم تبدلت ملامحها، وقالت بغيرة لم تستطع إخفاءها:

ـــ يلا بعد إذنك.
نظر إليها، ثم قال بسرعة:
ـــ حاضر.
وغادرا المكان.
وفي السيارة، رن هاتفه مرة أخرى.
نظر إليه الكابتن، لكنه لم يرد أيضًا.
أما رينا، فكانت تلك الرنة الثانية أشبه بشرارة أشعلت عقلها وأطفأت قلبها.
قبل لحظات، كانت تعيش معه حلمًا لم تجرؤ على تخيله، والآن بدأت الأسئلة تنهشها من الداخل.
مين اللي بيتصل؟
وليه مش بيرد؟
وهل فعلًا كل اللي حصل بينا كان مختلفًا... ولا أنا بس اللي كنت عايزة أصدقه؟
جلست إلى جواره في صمت، تنظر أمامها، بينما كان قلبها يحاول التمسك باللحظة التي عاشتها بين ذراعيه...
لكن عقلها بدأ، للمرة الأولى، ينتزعها منه.حتماً هي... عشان كده ما رضيش يرد عليها قدامي. وتذكرت لما كان بيتكلم معاها، واستأذن، وبعدها رجع بعد نص ساعة... وأنا اللي قعدت مستنياه. أنا اللي دوست على كرامتي أوي معاه، للأسف. أنا إزاي حد يقولي: هقفل معايا تليفون مهم، وأقعد مستنياه؟ ما طبيعي هيدوس عليَّ ! بقى أنا موجودة على

طول عشان كده؟ عشان كل مرة يكلمني يلاقيني جاهزة ومستنياه؟»

وتذكرت كلماته التي ما زالت تؤلمها:

«إنتِ مش بتعملي حاجة.»

ومرة أخرى:

«فاضية على طول.»

وكأنها هي من علّمته، من دون أن تشعر، أن وقتها ملكه هو.

«من كتر ما أنا أول ما بيرن عليَّ برد على طول، وبسيب أي حاجة في إيدي، مهما كانت... حتى الحلقة! دي الحلقة ظبطتها وكل حاجة، وقعدت عليها وقت طويل، ساعتين وشوية، وأول ما رن رديت... ونسيت أحفظها، وعملتها من أول وجديد. وأختي بقالها يومين بترن عليَّ وأنا ما كلمتهاش عشانه... وفي الآخر يقول لي: أنا كده؟»

اشتعل صدرها بالغيظ، واختلط الغضب بالخذلان حتى عجزت عن تحديد أيهما أشد.

ولاحظ الكابتن شرودها. ظل ينظر إليها للحظات، لكنها لم تنتبه. كانت الدموع قد ملأت عينيها، وانسابت على خديها واحدة تلو الأخرى، فأخذت تمسحها سريعًا بأطراف أصابعها، وحمدت الله أن الظلام يحيط بهما، حتى لا يلاحظ شيئًا.

وفجأة قال الكابتن:

— رينا.

أجابته بصوت خافت، من دون أن ترفع عينيها إليه:
ـــ نعم؟
ـــ فينِك؟
رفعت رأسها ونظرت إليه بدهشة.
ـــ إزاي؟
ابتسم ابتسامة خفيفة، وقال:
ـــ حاسس إنك مش معايا خالص.
أجابت بفتور أخفى وراءه حزنًا عميقًا:
ـــ لا، أبدًا.
تعجب الكابتن من نبرتها، لكنه لم يعلّق. ساد بينهما صمت قصير، بينما حاولت رينا أن تستعيد تماسكها، وأن تسيطر على ملامحها قبل أن يفضحها الحزن.
قالت في سرها:
«لازم أكلمه كويس... هيقول عليَّ إيه؟ إيه اللي غيرني فجأة؟ حتى هو استغرب من كلامي وسكت. بس لازم أرد رد قوي، وما أخليهوش يلاحظ حاجة. وحتى لو لاحظ، لازم أغير تفكيره.»
أمسكت هاتفها وبدأت تقلب فيه بلا هدف، متظاهرة بالانشغال، وكأن شيئًا مهمًا يشغل تفكيرها.
ثم قالت:
ـــ إيه رأيك؟ بكرة هعمل حلقة للدكتور المصري اللي في جامعة العالم أينشتاين.

نظر إليها الكابتن باهتمام وقال:
ـــ آه، دكتور مارك الجندي؟ سمعت عنه قبل كده.
ـــ آه.
ثم صمت الكابتن لحظات، قبل أن يقول بنبرة عابرة:
ـــ كويس... شغلك واخد كل وقتك.
صمتت رينا قليلًا، ثم أجابت:
ـــ آه.
ـــ ربنا يوفقك. وسوري لو كنت عطلتك.
ـــ لا، خالص.
سكت قليلًا، ثم قال:
ـــ عموماً، مبسوط أوي إني شوفتك النهارده.
وفي اللحظة نفسها، صدر من هاتفه صوت إشعار رسالة جديدة.
التفتت رينا نحو الصوت، ثم قالت:
ـــ آسفة لو كنت أنا اللي عطلتك.
نظر إليها وقال:
ـــ لا خالص... مبسوط إني شوفتك.
ابتسمت ابتسامة باهتة وقالت:
ـــ شكرًا خالص.
ثم أضاف:
ـــ وإن شاء الله أشوفك قريب.
ـــ إن شاء الله.

عاد الصمت بينهما، بينما أخذ عقل رينا يلتقط تفاصيل صغيرة لم تكن تريد أن تراها.
«الفون بتاعه شغال... مرة رن، ومرة رسالة. دانا هنا ومكسوفة إني اتأخرت! أمال اللي بترن دي في مصر الساعة كام عندها؟ ده الفرق بينا ست ساعات! وبعدين هو متعود معاها على كده؟ ما كنتش هقدر أرن كذا مرة وأبعت... عموماً، براحته.»
شعرت بوخزة في قلبها، وحاولت أن تدفنها قبل أن تظهر على وجهها.
«إمتى أوصل يا رب؟»
ظل هذا السؤال يطاردها حتى وصلت إلى السكن.
توقفت السيارة أمام الباب، ثم التفت إليها الكابتن مبتسمًا وقال:
— باي باي يا أجمل رينا.
أجابته بهدوء:
— باي.
ثم استدارت ومضت من دون أن تنظر خلفها، ومن دون حتى أن ترفع يدها لتلوّح له كما اعتادت.
دخلت السكن، وأغلقت الباب خلفها، وما إن ابتعدت عنه حتى انفجر كل ما حاولت طوال الطريق أن تخفيه.
كانت في قمة غليانها.

غضبها منه، وعتابها لنفسها، وغيرتها التي لم تعترف بها حتى لنفسها... كل ذلك اجتمع في قلبها دفعة واحدة.
وضعت هاتفها جانبًا، وأغمضت عينيها للحظات، ثم همست بمرارة:
«أنا اللي عملت في نفسي كده... أنا اللي علمته إن أنا موجودة له في أي وقت. دلوقتي لما اتعود، بقى شايف إن ده الطبيعي... ولما أتعب وأتأخر وأحاول أحافظ على كرامتي، يبقى أنا اللي اتغيرت.»
وسقطت دمعة أخيرة على خدها، فمسحتها بعنف، وكأنها غاضبة حتى من دموعها.
لكنها، رغم كل شيء، كانت تعرف الحقيقة التي حاولت الهروب منها:
لم يكن يؤلمها أنه انشغل عنها...
بل كان يؤلمها أكثر أن تكون هي التي لم تعد تشعر بأنها الأهم.
ألقت رينا حقيبتها على سريرها، ثم ألقت بنفسها فوقه، وانفجرت في بكاء طويل. كانت تحاول أن تكتم شهقاتها، لكن قلبها كان مثقلًا بما يفوق قدرتها على الاحتمال.

وفي الخارج، ظل الكابتن واقفًا للحظات، وقد ضايقه رد فعلها بشدة. لم يفهم لماذا تغيرت فجأة، ولا لماذا لم تلقِ عليه حتى تحية عابرة، أو تلوّح له بيدها كما تفعل دائمًا. دخلت

مسرعة إلى السكن، وأغلقت الباب خلفها، من دون أن تمنحه فرصة لفهم ما حدث.

قال في نفسه، وهو يزفر بضيق:

«البنت دي متقلبة المزاج أوي...»

وهذا كل ما استطاع أن يصل إليه.

دون أن يعلم شيئًا عمّا يدور بداخلها، ولا عن تلك المعركة التي خاضتها طوال الطريق وهي تحاول أن تبدو طبيعية أمامه.

أما رينا، فكانت قد اتخذت قرارها.

«مش هكلمه تاني... أحسن حل إني أنشغل في شغلي لحد ما أنساه. أيوه، ده أحسن قرار.»

مسحت دموعها، ونهضت من على السرير، ثم غيرت ملابسها، ووقفت أمام المرآة للحظات. كان وجهها يحمل آثار البكاء، وعيناها متعبتين، لكنها حاولت أن تستعيد تماسكها.

قالت لنفسها بحزم:

— لازم أركز في شغلي.

جلست أمام حاسوبها، وبدأت تبحث عن الشخصية التي ستجري معها لقاء الغد. حاولت أن تغرق في التفاصيل، في

المعلومات، في الأسئلة، في كل ما يمكن أن يشغل عقلها عنه.

ومع مرور الوقت، تحوّل العمل إلى ملجأ لها.

جهزت كل شيء للحلقة، وراجعت أسئلتها أكثر من مرة، وأعدت نفسها للمقابلة، لكن النوم ظل بعيدًا عنها. تقلبت في سريرها طويلًا، وكلما أغمضت عينيها عادت إليها تفاصيل هذه الليلة .

كلماته...

نبرته...

صوته وهو يقول إنه سعيد برؤيتها...

ثم ذلك الهاتف الذي ظل يرن ويستقبل الرسائل.

كلما حاولت طرد الأفكار من رأسها، عادت إليها بصورة أكثر إزعاجًا.

حتى أشرقت الشمس، وحان موعد الحلقة.

نهضت رينا، وارتدت ملابسها، وذهبت إلى مكان التصوير

وبالفعل، بدأت الحلقة.

وقفت أمام الكاميرا بثبات، وارتسمت على وجهها ابتسامة مشرقة، وأدّت عملها بحماس واحتراف. كانت تتحرك بثقة، وتتحدث بسلاسة، وتطرح أسئلتها وكأن قلبها لم يكن قد قضى الليل كله في البكاء.

انتهت الحلقة، فأرسلتها إلى الدكتور، ثم رفعتها على حساباتها، ونشرت صورًا تجمعها به في قصتها.

بدت في الصور سعيدة للغاية.

سعيدة إلى الدرجة التي تجعل كل من يراها يصدق أنها كذلك فعلًا.

ومن لا يعرف رينا جيدًا، لن يرى سوى ابتسامتها، وحماسها، وتألقها أمام الكاميرا.

وهذا بالضبط ما أرادته.

أما الكابتن، فقد شاهد القصة.

توقف أمام الصور للحظات، وتأملها باستغراب.

«هي كانت عاملة كده امبارح ليه؟ النهارده أهي زي الفل!»

لم يكن يعرفها بما يكفي ليدرك أن ابتسامتها أحيانًا كانت مجرد قناع بارع تخفي خلفه ما لا تريد لأحد أن يراه.

وبعدها، بدافع الفضول الذي حاولت هي نفسها مقاومته، فتحت رينا قصة الكابتن.

توقفت فجأة.

كان مستيقظًا حتى وقت متأخر، ويخرج ويتنزه، ويجلس في مكان ما، ويتناول بعض المشروبات.

ظلت تنظر إلى الشاشة بصمت.

ثم تذكرت ما قاله خلال الحلقة:

«جسمي رياضي، ومش متأثر بالعادات دي، رغم عدد السنين اللي قضيتها هنا.»

عقدت حاجبيها في حيرة، وقالت في سرها:

«غريبة... هو ليه بيكذب عليَّ؟»

ظلت تنظر إلى القصة للحظات، ثم أغلقت الهاتف.

لكن السؤال لم يُغلق معها.

ظل عالقًا في رأسها، يجر وراءه عشرات الأسئلة الأخرى.

«هو أصلًا كان بيكذب عليَّ في إيه؟ وليه؟ وإيه اللي أنا أعرفه عنه بجد؟»

تنهدت رينا، وحاولت أن تقنع نفسها بأنها لا تهتم.

لكن قلبها، على عكسها تمامًا، كان لا يزال مهتمًا بكل شيء يخصه.

كان من المؤكد أن هذا الهاتف يخص واحدةً منهن؛ فلو كان أحد أفراد عائلته أو أصدقائه، لربما أخبرني كما فعل من قبل، أو على الأقل لكان قد ردّ عليهم.

وبينما كانت رينا غارقةً في أفكارها، أرسل لها الكابتن رسالة:

ـالحلقة حلوة أوي، صحيح مش حضرتها كلها، يا دوب مقتطفات بس... برافو عليكي فعلًا، أهم حاجة عندك شغلك.

توقفت رينا عند كلماته، وشعرت بالضيق. كان في حديثه شيءٌ يشبه السمّ المدسوس في العسل، شيء لم تستطع أن تتجاهله.

كتبت له:

-شكرًا خالص، وربنا يوفق حضرتك.

جاءها الرد سريعًا:

-تاني حضرتك؟ هو إنتِ ليه مش حابة تسمعي الكلام؟ وكل شوية بحال وبرأي؟

تضاقت رينا أكثر، وردّت بهدوء:

-آسفة.

فقال:

-عموماً براحتك يا رينا.

بقيت تحدق في الشاشة، حائرةً في ما يمكن أن تجيبه. كانت كلماته تضغط على شيءٍ بداخلها، حتى لم تعد قادرةً على كتمانه. وانفجر ما في صدرها دفعةً واحدة:

-هو في إيه؟ براحتي في إيه؟

-مافيش، إحنا اتفقنا على حاجة، وإنتِ رجعتي تقوليها... حابة تضايقيني يعني؟

-أكيد مش أقصد كده.

-أمال ده إيه؟

-آسفة.

-طيب يا رينا، عموماً براحتك... كل شوية بحال.

انطفأت الكلمات في عينيها، وشعرت رينا بغصةٍ مؤلمة. لم تستطع منع دموعها من التجمع، فوضعت يدها على فمها وكأنها تحاول أن تحبس شهقةً كادت تفضح كل ما بداخلها.

ابتعدت عن الهاتف، واتجهت إلى المطبخ لتعد لنفسها كوبًا من الشاي.

كان الشاي، كعادته، خير صاحب لها في لحظات ضعفها، وخير مسكّنٍ لذلك الوجع الذي لا تعرف كيف تشرحه لأحد. جلست تحتسيه ببطء، تحاول أن تهدأ، حتى رن هاتفها.

كان الكابتن.

ترددت لحظة، ثم أجابت.

ظلّا يتحدثان معًا لبعض الوقت، ومع امتداد المكالمة وجدت رينا نفسها تقرر أن تفتح سيرة تلك الفتاة، لكن بطريقة غير مباشرة؛ فلم تكن تريد أن تبدو وكأنها تسأل بدافع الغيرة.

قالت بنبرة عابرة:

-لا حضرتك محبوب من الناس كلها... ما أنا بشوف كذا حد بيعلّق لك، وخصوصًا في ناس بشكل مستمر، وناس تانية عادي.

أجاب ببساطة:

-آه، دول أعرفهم من زمان، وصحابي.

صمتت رينا.

كانت تحاول أن تقنع نفسها بأن الأمر لا يعنيها، وأن السؤال التالي ليس مهمًا، لكن قلبها كان يصارع عقلها، حتى لم تستطع الصمت أكثر.

قالت:

-وفي واحدة تانية برضه... من خلال الكومنتات بتاعتك باين إنك عارفها من زمان.

سألها:

-سوري، اسم الأكونت إيه؟

أخبرته باسم الحساب:

«.....»

ساد صمت قصير، ثم قال:

-آه فعلًا، دي أعرفها، بس من قريب يعني.

كان يمكن لرينا أن تكتفي بهذه الإجابة، وأن تتجاوز الأمر ببساطة... لكنها لم تستطع.

قالت، وكأنها تلقي السؤال بلا اهتمام:

-بس باين عليك بتعزّها برضو.

جاءت إجابته صريحة، بلا تردد:

-آه، أوي الصراحة.

شعرت رينا بشيءٍ ينكسر داخلها.

صمتت تمامًا، بينما كانت الكلمات تتردد في رأسها، والغيرة تختلط بالحزن، والحيرة بالألم. لم تكن تريد منه أكثر من كلمة تطمئن قلبها، كلمة تجعلها تشعر أن لها مكانًا مختلفًا، لكنها لم تجدها.

خفضت عينيها، وقالت في سرّها:

«يا ليت الناس تعزّك بقدر ما إنت بتعزّهم... لو المحبة متبادلة، ما كانت الناس عرفت للكره أو الحقد طريق، ولا كان للوجع معنى.»

-نعم... بس إنتِ مهتمة أوي كده؟

ارتبكت رينا فورًا. زادها سؤاله ضيقًا، خصوصًا بعد أن سمعت منه مقدار معزته لهاتين الفتاتين، فحاولت أن تخفي مشاعرها خلف إجابة عابرة:

-لا أبدًا... بس افتكرتهم إخواتك.

-لا.

جاءت إجابته مقتضبة، لكنها كانت كافية لتزيد ارتباكها.

لم تجد رينا ما تقوله بعدها، وكانت كل رغبتها أن تنهي المكالمة، وأنهتها.

الفصل الثالث عشر

وضعت الهاتف جانبًا، لكنها لم تستطع أن تكتم غيظها.

الفتياتٌ عندما يردن معرفة معلومة بعينها، يتحولن إلى خليط غريب من المخابرات والشرطة؛ لا يتركن تفصيلة واحدة دون بحث، ولا يهدأ لهن بال حتى يصلن إلى ما يردن معرفته.

فتحت رينا صفحة الكابتن الشخصية، وظلت تتنقل بين قائمة أصدقائه والأصدقاء المشتركين، تنقّب بعينٍ دقيقة، حتى وقعت عيناها على اسم صديقتها مريم، وكانت صديقةً مشتركة بينهما.

لم تفكر طويلًا.

ضغطت على اسمها، ثم اتصلت بها.

وبمجرد أن أجابت مريم، قالت رينا بنبرة حاولت أن تجعلها طبيعية:

-إزيك يا مريم؟ عاملة إيه؟

جاءها صوت مريم بحماس:

-وإنتِ كمان وحشاااااني أوي!

ابتسمت رينا رغمًا عنها، وبدأتا تتحدثان في أمورٍ مختلفة، تتنقلان من موضوع إلى آخر، حتى استطاعت رينا، بذكاءٍ وحذر، أن تصل إلى ما كانت تبحث عنه؛ سبب معرفة الكابتن بهاتين الفتاتين.

وبالفعل، جاءت الحقيقة قريبةً جدًا مما توقعته.
كانت مايا تستفيد منه، أما أنجي فكانت، كما وصفتها مريم، فتاةً مصلحية للغاية؛ علاقاتها ومعارفها في الغالب لا تتجاوز حدود ما يمكن أن تحصل عليه من خدمة أو منفعة شخصية.
سألت رينا، وكأن الأمر لا يعنيها كثيرًا:
-آه... يعني هو بيساعدها وهي عارفاه لمصلحتها؟
ضحكت مريم وقالت:
-بس هي باين عليها ناصحة أوي.
-آه أوي يا رينا، ومش بيبان عليها خالص. وملامح وشها أصلًا تساعدها على كده، تقولي براءة.
-آه... أنا ما أعرفهاش الصراحة.
-لا، أنا عارفاها، بس ما أعتقدش إنه هو هيعرف عنهم كده.
قالت رينا:
-أكيد قدامه بوش، وحقيقتهم وش تاني.
ومين أصلًا هيقوله إنها بتقول عليه كده؟
فقالت رينا بحسرة:
-عندك حق.
توقفت مريم لحظة، ثم قالت:
-ده قبل كده واحدة بتقول عليه إنه بيخدم وكده، تعرفي هي ردت قالت إيه؟
قالت رينا باندهاش
-قالت إيه؟

قالت مريم وهي تقلد نبرتها:
-أنا اللي بيعمل حاجة ليا، بجامله بغيرها أضعاف، وخيري سابق الكل.
ثم أضافت بنبرة ساخرة تقلد بها طريقة الفتاة المتعالية:
-وقالتها كده بنبرة كلها تناكة.
لم تضحك رينا.
على العكس، شعرت بحزنٍ عميق تسلل إلى قلبها.
هي تحب الكابتن، وتعزه بصدق، ولذلك لم تكن تحتمل أن تسمع عنه كلمة سيئة من أي شخص، فكيف إذا كان هذا الشخص ممن يعزهم هو نفسه؟
قالت بصوت خافت:
-بس باين على الكابتن طيب... وبيصدقهم.
أجابتها مريم:
-ما هو أصلًا بيسمع منهم هما بس، ومش عارف الحقيقة، ولا قاعد في البلد.
صمتت رينا.
شعرت باختناقٍ يضغط على صدرها، وكانت تريد أن تنهي المكالمة في أسرع وقت، لكن فكرةً أخرى أوقفتها.
"لو قفلتها دلوقتي هتعرف وتلاحظ إني مكلمّاها عشان أعرف حاجة... لأ، لازم أكمل شوية."

استمرت في الحديث، وسألت مريم عن الفتاتين وأخبارهما، وحاولت أن تجعل أسئلتها تبدو عادية، وكأنها مجرد فضول بين صديقتين، حتى لا تكتشف مريم حقيقة اهتمامها.
لكن رينا لم تستطع الاستمرار طويلًا، فأنهت المكالمة أخيرًا.
وضعت الهاتف أمامها، وبمجرد أن انتهى الاتصال، خانتها دموعها.
نزلت الدموع التي قاومتها طوال المكالمة، واحدةً تلو الأخرى، حتى لم تعد قادرة على منعها.
همست بحزن:
"أنا بيقول عليا كده... وأنا بحبه وبعزه... أمال دول يبقوا إيه؟"
ثم تذكرت كلام مريم، فتنهدت بمرارة.
"بس عندها حق... هيعرف منين؟ وهما باينين قدامه بعكس حقيقتهم تمامًا."
كانت رينا تعرف أن هناك فتياتٍ يجيدن إخفاء حقيقتهم خلف أسلوبٍ جذاب وكلماتٍ محسوبة؛ يبدين أمام الآخرين بصورةٍ مختلفة تمامًا عما يحملنه في الداخل.
ثم تمتمت، وهي تمسح دموعها:
"في بنات كده شبه الراقصات في أسلوبهم... الراقصة بترقص بجسمها، إنما دول بيرقصوا بلسانهم وأسلوبهم."
وسكتت.

كان أكثر ما يؤلمها أنها لم تكن تغار من وجودهما في حياته بقدر ما كانت تتألم من فكرة أن يراهما بصورةٍ جميلة، بينما لا يعرف ما وراء تلك الصورة.
ولم تكن تعرف أيهما كان يؤلمها أكثر...
أن الكابتن يعزهما، أم أنه لم يرَ بعد الحقيقة التي كانت رينا قد بدأت تراها بوضوح.
وظلت تردد في نفسها: "ربنا يبعد عنه أي شر"، وهي لا تعرف ماذا يمكنها أن تفعل حتى ينتبه إلى حقيقتهم، وحتى يراهم على حقيقتهم كما تراهم هي.
تنهدت بحيرة، ثم قالت في نفسها بأسى: "للأسف، هي الدنيا كده... اللي يحبك مش بتحبه، واللي تحبه مش بيحبك، واللي تفتكره كويس يطلع العكس.
عالم صعب، كله حوارات ومشاكل... وده للأسف حال الدنيا. ما هي، لولا إن الدنيا وحشة، مكناش لجأنا لربنا."
ثم سكتت لحظات، قبل أن تهمس بدعاء خافت:
"ربنا يرحمنا ويكون مع الكابتن..."
لكن قلبها لم يستطع أن يخفي الحقيقة. كانت تحبه، أكثر مما ينبغي، ولم يكن في حياتها أغلى منه ولا أعز.
كيف يمكنه أن يراها هي بهذا الشكل، بينما يراهم هاتان جيدتان؟
كانت تتمنى لو تستطع أن يكتشف حقيقتهم بنفسه، لكنها لم تعد تملك شيئًا سوى الانتظار، حين يراهم بصورة خاطئة،

لا تحاول أن تصحح له الفكرة. تترك الأيام تفعل ذلك بدلًا منها؛ فالحقيقة، مهما تأخرت، تعرف طريقها في النهاية.
لكن خوفها عليه كان أقوى من قدرتها على الانتظار.
"أنا خايفة عليه أوي..."
قالتها وهي تشعر بدوار خفيف، وكأن القلق استنزف ما بقي من طاقتها. ومع ذلك، لم تستطع أن تسيطر على أفكارها.
مدت يدها إلى هاتفها، وظلت للحظات تحدق في شاشته، مترددة بين أن تتصل به أو تتركه وشأنه.
ثم حسمت أمرها.
كتبت:
-كابتن، إزيك؟ عامل إيه دلوقتي؟ ابقى طمني عليك.
أرسلت الرسالة، ثم انتظرت.
مرت الدقائق بطيئة وثقيلة، وعيناها لا تفارقان الهاتف. كانت تفتحه بين لحظة وأخرى، تراقب الشاشة بقلق وارتباك، وتدعو في سرها أن يكون بخير.
لكنه لم يجب.
ازدادت ضربات قلبها، فكتبت مرة أخرى:
-ممكن ترن عليا بعد إذنك؟
وتركت الرسالة، ثم وضعت الهاتف بجوارها، لكنها لم تستطع الابتعاد عنه. كانت كل لحظة تمر تزيد قلقها، حتى عادت تقلب في الصور الموجودة على صفحته الشخصية، محاولة أن تشغل نفسها عن الانتظار.

وفجأة، أضاءت شاشة الهاتف.
وصلتها رسالة منه.
-رينا حبيبتي، آسف، مشغول شوية.
قرأت الرسالة مرة، ثم أعادتها مرة أخرى، وكأنها تتأكد من الكلمات.
وفي لحظة، هدأ قلبها.
ابتسمت دون أن تشعر، ثم كتبت سريعًا:
-ربنا معاك، وخلي بالك من نفسك.
توقفت قليلًا.
كان هناك شيء آخر تريد قوله، شيء لم تستطع الكلمات السابقة أن تعبّر عنه. كانت بحاجة إلى سماع صوته، ولو لدقائق قليلة، لكنها ترددت طويلًا قبل أن تكتب.
ثم استجمعت شجاعتها وقالت:
-طيب ينفع وإنت راجع تكلمني؟ أنا مستنياك.
لم يتأخر رده كثيرًا:
-بس ده هيكون متأخر، على الساعة ٢ كده.
توقفت أنفاسها للحظة، ودق قلبها بقوة.
كانت تعرف أن الوقت سيكون متأخرًا، وأن الانتظار حتى الثانية صباحًا قد يكون مرهقًا، لكنها لم تهتم.
كتبت دون تردد:
-مستنياك.
جاء رده مقتضبًا:

-أوك، باي.
ابتسمت وهي ترد:
-باي.
ثم أغلقت المحادثة، وظلت تنظر إلى الشاشة للحظات طويلة.
لم تكن تعرف ماذا سيحدث بعد ذلك، ولا إن كان اتصالًا في منتصف الليل قادرًا على تغيير شيء من كل ما يؤلمها، لكنها كانت تعرف شيئًا واحدًا فقط...
أنها ستنتظره.
فبعض الأشخاص، حين يسكنون القلب، يصبح انتظارهم أهون بكثير من محاولة نسيانهم.
وهي، رغم كل حيرتها وإرهاقها وخوفها، كانت تؤمن أن هناك أشياء في الدنيا يمكن أن تُنتزع بالقوة، وأشياء أخرى لا تنفع معها القوة أبدًا.
أما القلوب...
فلا يمكن امتلاكها بالعافية.
كانت رينا في قمّة سعادتها كلما تذكّرت كلماته لها، والمواقف الصغيرة التي جمعتهما، وتفاصيل حديثه التي كانت تعيدها في ذاكرتها مرارًا، فتبتسم دون أن تشعر.
لكن تلك السعادة لم تكن تدوم طويلًا؛ فسرعان ما يتسلّل الحزن إلى قلبها كلما تذكّرت حديثه عن الفتاتين، وتعليقاته لهما، ومكانتهما الكبيرة عنده، ومدى غلاوتهما ومعزّتهما في

قلبه. كانت تتألّم أكثر حين تسمع ما يقولانه عنه، وتتساءل في داخلها: كيف لا يقدّران كل تلك المحبة التي يمنحها لهما؟ كانت رينا ترى الأمر من زاوية مختلفة تمامًا. كانت تقول في نفسها إنّها، لو كانت مكانه، لتوقّفت عن مساعدتهما ولو مرة أو مرتين، ثم انتظرت لترى ردّ فعلهما الحقيقي، ولتعرف إن كانت محبتهما له صادقة فعلًا أم أنّها لمجرد مصلحة.

ومع ذلك، كانت تعرف شيئًا واحدًا يقينًا؛ أنها، مهما حدث، ستظل تحبّه.

حتى لو اكتشفت أنهم بيحبوه هتختار الابتعاد عنه، وحتى لو تغيّر كل شيء، سيبقى له في قلبها مكان لا يستطيع أحد أن يأخذه. المشكلة فقط أنه لم يكن يرى ما تراه هي، ولم يكن يعرف حقيقتهما كما تعرفها، ولا يرى منهما سوى الصورة الجميلة التي يحرصان على إظهارها أمامه، حتى بدتا له كأنهما ملاكان لا يمكن أن يصدر منهما سوء.

وكان هذا أكثر ما يؤلم رينا.

كيف يمكن لشخص أن يسيء إلى من يحبه، ثم يعود ويتعامل معه وكأن شيئًا لم يحدث؟

قالت في نفسها بحسرة:

ـــ ليه مش محترمين ومقدّرين محبته ليهم؟ هو بيعمل لهم كل ده من قلبه، ومع ذلك بيتكلموا عنه ويطعنوا فيه من وراه.

وسكتت قليلًا، ثم ابتسمت ابتسامة حزينة وهي تفكّر:
ـــ أنا بالنسبة لي، أهم حاجة عندي طريقة تعامل الشخص نفسه معايا. حتى لو الدنيا كلها بتقول عليه إنه مش كويس، وحتى لو الناس كلها بتشتكي منه، أنا مش هحكم عليه من كلامهم. اللي يهمني هو معاملته ليا. لكن إنه ييجي في الآخر ويحكي عني، ويطعن فيا ويذمّ فيا، ويتكلم بالباطل والافتراء... لأ، دي حاجة تانية خالص.
كانت رينا قد تعبت من كثرة الأعذار والعتاب. صار الكذب عند البعض أسهل من الاعتراف بالحقيقة، وصارت الأيمان تُقال بلا حساب، حتى فقدت الكلمات عندها كثيرًا من قيمتها.
ولهذا قررت أن تغيّر طريقتها.
لم تعد تريد أن تعاتب أحدًا.
قالت بهدوء:
"أنا بطّلت أعاتب. لو في حاجة غلط، ممكن ألمّح بس... مجرد تلميح. وبعد كده هو حر.
لو فهم، يبقى فهم، ولو ما فهمش، أنا عملت اللي عليّا."
ثم تنهدت، وكأنها أغلقت في قلبها بابًا كانت قد أبقته مفتوحًا طويلًا.
ورغم كل ما كانت تشعر به، لم تستطع أن تتمنى له سوءًا.
بل على العكس، كانت كلما تذكّرته رفعت يديها في صمت، ودعت له من قلبها:

"ربنا يبعد عنه أي شر، ويحميه من كل حد ممكن يأذيه أو يخدعه. أنا كده كده دايمًا هدعيله... وعمري ما هبطل أدعيله. ربنا يكون معاه دايمًا."
ثم ابتسمت، تلك الابتسامة التي تحمل في داخلها حبًا لا يُقال، وخوفًا لا تعترف به، ووفاءً لم تستطع الأيام أن تنتزعه من قلبها.

الفصل الرابع عشر

كانت تحبه، وربما كان هذا هو الشيء الوحيد الذي لم يتغيّر فيها، مهما تغيّرت كل الأشياء من حولها.
رنّ هاتف رينا، وما إن لمحت اسم الكابتن على الشاشة حتى أشرقت ملامحها بفرحة لم تستطع إخفاءها. كان مجرد اتصال منه كفيلًا بأن يبدّل حالها بالكامل، وكأن قلبها لم يعد يعرف طريقًا للسعادة إلا من خلاله.
ومع مرور الوقت، كان حبها له يزداد بصورة أخافتها هي نفسها. أصبح بالنسبة إليها أهم من أنفاسها، وأقرب إليها من طعامها وشرابها، حتى باتت تشعر أنه كل حياتها، وأغلى عندها من نفسها وروحها.
لم تكن تستطيع أن تتخيّل حياتها من دونه.
أمسكت الهاتف بسرعة، وردّت بصوت حاولت أن تجعله طبيعيًا رغم الفرحة التي ملأت قلبها:

ـــ إزيك يا كابتن؟ عامل إيه؟ طمّني عليك.
جاءها صوته بهدوء:
ـــ الحمد لله. إنتِ عاملة إيه؟
ابتسمت رينا تلقائيًا، وقالت:
ـــ الحمد لله
-رينا آسف... لحظة معايا تليفون.
ثم صمتت.
كانت تنتظر تلك المكالمة منذ وقت طويل، وكانت تشعر بالخجل حتى من أن تتحدث معه ليلًا، وحين جاء الاتصال أخيرًا، وجدته منشغلًا عنها.
اختنق صوتها وهي تقول في داخلها:
أنا مستنياه مخصوص... ومكسوفة أكلمه بالليل، وفي الآخر يسبني ويروح. ما هو ضامن وجودي... أنا اللي أستاهل.
ثم قال:
ـــ باي.
ثم أُغلق المكالمة دون أن يعطي رينا فرصة لتجيبه.
ظلت تنظر إلى الهاتف في صمت، وكأنها لم تستوعب ما حدث. شعرت بغصّة حادة استقرت في صدرها، وكلما حاولت أن تهدأ، عادت الأفكار لتنهشها من جديد.
لم تستطع النوم.
ومرّت الساعات ثقيلة، حتى رن هاتفها مرة أخرى.
مدّت يدها إليه، ونظرت إلى الشاشة، ثم إلى الساعة.

كانت الثالثة وثلثًا صباحًا.
ترددت طويلًا، وغلبها الغضب والعتاب، لكنها في النهاية قررت أن تجيب.
ـــ آسف يا رينا حبيبتي، دي مكالمة مهمة.
ساد صمت قصير.
ثم قالت رينا بنبرة هادئة ظاهريًا، لكنها كانت تخفي خلفها الكثير:
ـــ طبعًا... ما هو لو حد بتعزّه، لازم تديه الأولوية؟ ما الدنيا دي أصلها أولويات يا كابتن.
تغيّرت نبرته قليلًا:
ـــ رينا، إنتِ متقلّبة أوي... كل شوية بنبرة وطريقة.
توقفت للحظة، وكأن كلماته أصابتها في مكان حساس.
ثم قالت:
ـــ لا... شوفت مني إيه عشان تقول كده؟ ليه؟
حاولت أن تتمالك نفسها، لكن كل ما كتمته طوال الوقت اندفع دفعة واحدة.
ارتجف صوتها، وقالت بانفعال:
ـــ ليه شايفني كده؟ شايفني أنا بحكي عليك؟! و إنت بتساعدني وبتعمل معايا كل خير، للأسف الدنيا دي ماشية بالعكس!
سكتت لحظة، ثم ضحكت ضحكة قصيرة اختلطت فيها المرارة بالدموع.

ـــ عمومًا... فرصة سعيدة أوي. ما دام أنا دايمًا وحشة ومتقلّبة، أهو الإنسان الكويس بيكون نهايته زيي. وأنا أصلًا أستاهل يحصل فيا كده!

كان الكابتن يستمع في دهشة، لا يفهم كيف تحوّل الحديث بهذه السرعة، ولا من أين جاءها كل هذا الألم.

أما رينا، فلم تعد قادرة على السيطرة على نفسها.

قالت بصوت مكسور:

ـــ وكفاية لحد هنا... باي.

ثم أغلقت المكالمة.

ظل الكابتن ينظر إلى هاتفه في ذهول، عاجزًا عن فهم ما حدث، بينما كانت رينا قد انهارت في الطرف الآخر.

وضعت الهاتف جانبًا، وانفجرت في البكاء.

بكت بحرقة، وكأنها لم تكن تبكي بسبب مكالمة واحدة، بل بسبب كل الكلمات التي أخفتها طويلًا، وكل المواقف التي ابتلعتها بصمت، وكل مرة شعرت فيها أنها تأتي في آخر قائمة أولوياته رغم أنها وضعته هو في أول قائمة حياتها.

وفي تلك الليلة، لم يكن أكثر ما يؤلمها أنه أنهى المكالمة...

بل أنها شعرت، للمرة الأولى، أن حبها له أكبر بكثير من قدرتها على احتمال وجعها بسببه.

وظلت رينا هكذا، غارقةً بين دموعها وحزنها، حتى غلبها التعب، فاستسلمت للنوم دون أن تشعر.

وعندما استيقظت، أمسكت هاتفها واتصلت بأختها، وقصّت عليها كل ما حدث بالتفصيل، لكنها أخفت عنها شيئًا واحدًا... أخفت أنها تحبه.

وما إن انتهت من حديثها، حتى بدأت أختها تلومها بشدة على كل ما فعلته، ثم قالت رينا بصوت حزين، كأنها تبحث عن مخرج من كل هذا الألم:

ـــ يعني أكلمه وأعتذر له؟

ردت أختها بلهجة حاسمة:

ـــ كان من الأول ما كلمتيهوش، ولا عاتبتيه، ولا قولتيله حاجة. كنتِ اختصرتي وسكتي. واللي بيعز حد، مش بيشوف فيه أي حاجة وحشة، حتى الوحش بيشوفه حلو وكويس، أو على الأقل بيشوف عيوبه مميزات وبيتقبلها. مش بيقعد يذم وينقد فيه، وبعدين يزعل لما يخسره.

ثم تابعت، وقد زاد استنكارها:

ـــ وبعدين إيه اللي خلاكي تكلميه أصلًا؟ مش قولتي المرة اللي فاتت إنك زعلتي منه ومش هتكلميه؟ إزاي كلمتيه؟

خفضت رينا صوتها، وكأنها تخجل من الاعتراف حتى لنفسها:

ـــ أنا اللي بعتله.

ساد الصمت لثوانٍ، قبل أن تقول أختها بدهشة شديدة:

ـــ إيه اللي أنا بسمعه ده؟! صح؟! إنتِ رينا؟! رينا اللي أهم حاجة عندها كرامتها، هي اللي بعتت تاني واعتذرت؟! لا،

لا، مستحيل! ده أنا زمان، لما شدينا مع بعض وفي وقتها حذفتك، فاكرة؟ ما رضيتيش حتى تبعتيلي، ولا تقبلي طلب الصداقة، غير بعد ما كلمتك ماما ! وعنده هو تعملي كده؟!
كانت كلمات أختها أثقل عليها مما توقعت.
شعرت رينا بالحزن يتسلل إلى قلبها من جديد، فاعتذرت لأختها، وحاولت أن تنهي المكالمة سريعًا، وكانت أختها هي الأخرى حزنت، فأغلقتا الهاتف.
وضعت رينا هاتفها بجوارها، وظلت تحدق في الفراغ، بينما أخذت كلمات أختها تتردد داخل رأسها.
فعلًا... أنا غلطت.
ربما كان عليها ألا تتدخل من الأساس. هو حر، وفي يوم من الأيام سيعرف الحقيقة بنفسه، لكن عليه أن يعرفها بعيدًا عنها. أما وجودها في الصورة، فلن يجعلها في نظره إلا أسوأ، خصوصًا أنه يعزهم ويثق بهم. وقالت في نفسها
" المواقف والأفعال خير غربال للمنافق والكذاب ...
كانت تحاول إقناع نفسها بأن الأمر انتهى، لكن حزنها وغضبها كانا أقوى من عقلها. لم يكن عقلها هو من يتصرف، ولا قلبها وحده... كان وجعها هو من يقودها.
وبعد تردد طويل، فتحت المحادثة مع الكابتن، وكتبت له:
ـــ مساء الخير، عامل إيه؟
انتظرت.
لم يصل أي رد.

ظلت تنظر إلى الشاشة للحظات، ثم أخذت نفسًا عميقًا، وكتبت رسالة أخرى، وكأنها تجمع ما تبقى لها من شجاعة:
ـــ آسفة، حقيقي أنا مش كده، ولا كان قصدي أفهمك إني كده. وأنا بعتذر لك. وربنا معاك، وفرصة سعيدة أوي.
توقفت أمام الرسالة طويلًا قبل أن تضغط زر الإرسال.
لم تكن تلك الكلمات مجرد حروف كتبتها بأصابعها، بل كانت دموعها، وارتباكها، ووجعها، وكل ما عجزت عن قوله وجهًا لوجه. كتبتها بقلبها قبل يدها، وأرسلتها وهي تشعر أنها تنتزع آخر خيط يربطها بكرامتها.
ومع ذلك... لم يجب.
مرت الدقائق بطيئة، ثقيلة، وقاسية.
كانت تفتح المحادثة كل لحظة، ثم تغلقها، قبل أن تعود إليها من جديد.
وفي لحظة انكسار، كتبت له:
ـــ رد عليا... وارحم كرامتي.
وما إن أرسلتها حتى انهارت في البكاء.
دفنت وجهها بين كفيها، وانفجرت دموعها كأنها كانت تنتظر تلك اللحظة منذ وقت طويل. لم تعد تعرف أيهما يؤلمها أكثر؛ صمته، أم أنها هي من وضعت نفسها في هذا الموقف، أم خوفها من أن يكون قد فهمها بصورة لم تكن يومًا كذلك.

وفي تلك اللحظة، أدركت رينا أن بعض الاعتذارات لا تُعيد الأشياء كما كانت... بل تكشف فقط مقدار ما كان يؤلمنا فقدانها.

وظلت رينا على حالها حتى نامت من شدة الإرهاق والدموع والتعب، لا حبًّا في النوم، ولا لأن النعاس غلبها، بل لأنها كانت غائبة عن كل شيء تمامًا، كأن جسدها لم يعد يحتمل المزيد، فاستسلم للنوم رغماً عنها.

ومرت الأيام، وانشغلت رينا بين عملها، وحلقاتها، وبيتها، حتى رن هاتفها ذات يوم.

نظرت إلى الشاشة، فوجدت اسم أختها، فأجابت:

— رينا حبيبتي، عاملة إيه؟

— الحمد لله، إنتِ عاملة إيه؟

جاءها صوت أختها يحمل فرحة واضحة:

— في واحد متقدم لي، وهو كويس خالص، والبيت موافقين عليه.

اتسعت ابتسامة رينا رغم كل ما يسكن قلبها، وقالت بصدق:

— بجد؟ ألف مبروك يا قلب أختك!

— الله يبارك فيكي يا حبيبتي.

ثم سألتها أختها بحماس:

— هتيجي تحضري؟

سكتت رينا لحظة، ثم أجابت بأسف:

ـــ آسفة، بأمانة صعب عشان شغلي... وربنا يفرحك دايمًا ويتمم ليكي على خير يا رب. بس أوعدك، على الفرح أنزل.
تضايقت أختها من الداخل، وكانت تتمنى وجودها بجوارها في تلك اللحظة، لكنها لم تُظهر شيئًا، واكتفت بالصمت.
ثم سألتها:
ـــ عاملة إيه دلوقتي يا رينا؟
ـــ الحمد لله.
ـــ طيب بصي، يوسف بيرن، شوية وأكلمك.
ـــ تمام يا رنا حبيبتي. باركيلي ليه، وربنا يسعدكم.
ـــ باي.
ـــ باي، وربنا معاكم.
وأغلقت رينا الهاتف، ثم عادت إلى حياتها من جديد.
كانت تراقب الكابتن من بعيد، وتلاحظ دائمًا التعليقات الكثيرة التي تتركها له المعجبات، وكثرة الفتيات من حوله.
لكن الغريب أن كل موقف من تلك المواقف كان يتحول داخلها إلى وقود جديد.
كان الألم نفسه هو القلم الذي أيقظ رينا، ودفعها إلى عملها، وإلى تحقيق الهدف الذي طالما حلمت به، والذي كان الكابتن، بطريقة أو بأخرى، سببًا في وصولها إليه.
فزادت من حلقاتها، وكثّفت برامجها، واجتهدت أكثر، حتى حقق برنامجها نجاحًا كبيرًا خلال وقت قصير.

اشتهرت رينا كثيرًا، وازداد دخلها، واتسعت دائرة معارفها، وأصبحت تعرف أشخاصًا لم تكن تتخيل يومًا أنها ستلتقي بهم.
كان كل شيء من حولها يتغير...
إلا شيئًا واحدًا.
الكابتن.
لم يغب عن بالها، ولا عن تفكيرها، ولا عن قلبها، ولا عن عقلها لحظة واحدة، ولا حتى ثانية واحدة طوال يوم.
لم يكن هناك شيء يهون عليها غيابه سوى صوره ومقاطع الفيديو الخاصة به، وكانت ممتنة كثيراً لكل صحفي زميل أو أستاذ أجري معه أي لقاء.
كانت تشاهده من بعيد، وتكتفي بذلك، لكنها اشتاقت كثيرًا إلى صوته...
اشتاقت إلى قربه منها، إلى أن تسمع صوتَه ينادي اسمها، إلى تلك التفاصيل الصغيرة التي لم تكن تعرف قيمتها إلا بعد أن فقدتها.
حتى إن الصداع الذي كان يلازمها لم يعد الشاي يخففه كما كان في السابق، فأصبحت أحيانًا تضطر إلى تناول مسكن للصداع، ثم تعود إلى عملها وكأن شيئًا لم يكن.
وفي إحدى الليالي، جلست رينا وحدها، وأخذت تحدق أمامها طويلًا، ثم قالت لنفسها:

أنا داخلة في سنة من بعد آخر مسج بينا... لحد إمتى هفضل أفكر فيه؟
تنهدت، وأكملت حديثها مع نفسها:
أنا نفسي أشوفه.
كانت تعرف أماكن سفره في إجازاته، وتعرف بعض المطاعم التي يذهب إليها، وتعرف تفاصيل كثيرة عنه لم يكن من الصعب عليها أن تستغلها كي تراه.
لكن المشكلة لم تكن في الوصول إليه...
كانت المشكلة في نفسها.
"بس إزاي أقدر أعيش من غير كرامة؟"
سكتت قليلًا، ثم قالت بحسم:
"أقدر أعيش من غير حب... بس من غير كرامة؟ مستحيل. فالكرامة بالنسبة لها لم تكن شيئًا يمكن التنازل عنه من أجل أي إنسان، مهما كان."
وتابعت أفكارها:
"ماحدش يقدر يشتري الحب. في حاجات في الدنيا مستحيل حد يشتريها، ومهما حاول يمثلها، هيكتشفها في أي موقف... زي الحب، والتربية، والأصول، والأخلاق، والشبع، وغيرها."
ابتسمت ابتسامة حزينة، وقالت:
"الحب حلو... بس الكرامة أحلى وأجمل."

الفصل الخامس عشر

كانت تستطيع أن تبدو قوية أمام الناس، أن تضحك، وتعمل، وتنجح، وتعيش وكأن شيئًا لم يحدث.

لكن كيف تكون قوية أمام نفسها؟

كيف تخدع نفسها وهي الوحيدة التي تعرف ما بداخلها؟

كانت تعرف الحقيقة التي تخفيها عن الجميع...

أنها ما زالت تحبه.

وأن كل ما فيها ما زال متعلقًا به، وأن قلبها، رغم كل محاولاتها، لم يعرف كيف يخلق مكانًا لغيره.

و كانت تردد «أحتاج إليه، وكل ما فيَّ يشتاق إليه ويحتاج إلى وجوده بجانبي.»

كانت تريده بجانبها، وتحتاج إلى وجوده، وتشتاق إلى صوته وقربه، وتفتقد حتى التفاصيل التي كانت تظن يومًا أنها عادية.

ورغم كل ما فعلته الكرامة بها، ورغم كل الحواجز التي أقامتها بينها وبينه، بقي شيء واحد لا تستطيع إنكاره:

هي ما زالت تحبه.

وربما كانت أصعب معاركها لم تعد بين أن تذهب إليه أو تبتعد عنه...

بل بين قلبٍ يصرخ بأنه يريده، وكرامةٍ تصرّ على ألا تذهب إليه.

ومرت الأيام، ثم الشهور والسنون، ونجحت رينا أكثر وأكثر، واتسعت شهرتها، وأصبحت صورتها أمام الناس مختلفة تمامًا.
كانت تضحك، وتتحدث بثقة، وتظهر دائمًا بالابتسامة التي اعتادت أن تتصنعها حتى أصبحت جزءًا من ملامحها.
لكن خلف تلك الابتسامة، كان هناك قلب آخر لا يراه أحد.
كانت ما تزال تراقبه في صمت، بحزن وألم، وتبحث عنه من بعيد، وتتطلع إلى أخباره من خلال بعض الفتيات اللاتي تعرفهن، وتسأل عنه بطُرق غير مباشرة، وكان أكثر ما تفعله من أجله هو الدعاء.
لم تكن تتمنى شيئًا لنفسها بقدر ما كانت تتمنى له الخير.
يا رب يكون بخير... بس.
كان هذا كل ما تريده.
كان الناس ينظرون إليها ويحسدونها على ما وصلت إليه؛ نجاح، وشهرة، ومال، ومحبة من الجميع.
لكنها وحدها كانت تعرف أن كل ذلك لا يساوي شيئًا أمام الشيء الوحيد الذي تفتقده.

كانت تقول لنفسها:
الناس شايفين إني وصلت لكل حاجة... بس كل اللي وصلت له ده ما يساويش حاجة جنب اللي أنا نفسي فيه.
ثم تبتسم بمرارة:
وإيه فايدة إن الكل يحبني ويشوفني، وهو مش بيحبني ولا حتى شايفني؟
كان بالنسبة إليها العالم كله.
"هو بالنسبالي العالم أجمع... وبدونه، لا يوجد عالم."
وذات يوم، كانت رينا جالسة مع بعض صديقاتها، حين علمت أن الكابتن قد تعرض لوعكة صحية شديدة، وأنه أصيب بجلطة.
تجمد الدم في عروقها.
لم تفكر.
لم تسأل نفسها إن كان ذهابها صحيحًا أم خطأ، ولم تتذكر كرامتها، ولا المسافات التي وضعتها بينهما طوال السنوات الماضية.
كل ما فكرت فيه كان شيئًا واحدًا:
هو تعبان.
نهضت مسرعة، وتوجهت إلى المستشفى وقلبها يرتجف خوفًا عليه.

كانت طوال الطريق تدعو الله، وتبكي، وتتوسل إليه أن يحفظه لها، حتى وصلت إلى المستشفى وهي تكاد لا تشعر بشيء حولها.
وهناك، كانت المفاجأة التي آلمتها أكثر مما توقعت.
لم تجد حوله أحدًا تقريبًا من أصدقائه.
لم يكن معه سوى صديق واحد.
اقتربت منه، وحاولت أن تخفي ارتباكها وخوفها، ثم قالت:
ـــ مساء الخير... لو سمحت، حضرتك هو إيه اللي حصل؟
نظر إليها الرجل، ثم أجاب بهدوء:
ـــ صدقيني، أنا كنت في المطعم وبشتغل، وهو رن عليّا وقال لي إنه تعبان، فجيت معاه على طول.
ابتلعت رينا خوفها وسألته سريعًا:
ـــ هو عامل إيه دلوقتي؟
ـــ الحمد لله، أخد الحقنة وعملوا اللازم، وإن شاء الله يبقى كويس.
أغمضت رينا عينيها للحظة، وقالت من قلبها:
ـــ يا رب... إن شاء الله.
ثم جلست تنتظر.
مرت الساعات بطيئة وثقيلة، لكنها لم تتحرك من مكانها.
ظلت بجواره، تتابع حالته، وتطمئن عليه باستمرار، وتدعو الله في صمت، حتى بدأ يستعيد وعيه ويفيق.

وحين اطمأنت إلى أنه أصبح بخير، شعرت براحة غامرة امتزجت بدموعها.
لكن شيئًا آخر كان يؤلمها.
نظرت حولها، ثم قالت في داخلها بحزن:
مفيش حد بيسأل عليه...
وتابعت وهي تنظر إليه:
يمكن كل اللي حواليه محتاجينه لمصالحهم، لكن لما تعب بجد، مين اللي جه؟
لم تنتظر إجابة.
كانت تعرفها.
وبعد أن خرج من المستشفى، لم تستطع أن تتركه وحده.
ذهبت معه إلى منزله، وأحضرت له الطعام والشراب وكل ما يحتاج إليه، واطمأنت إلى أن كل شيء حوله على ما يرام.
كانت تفعل ذلك كله في صمت، دون أن تنتظر شكرًا، ودون أن تفكر فيما إذا كان سيعرف يومًا أنها كانت هناك من أجله.
فهي لم تذهب إليه لتثبت شيئًا.
ولم تذهب لتكسر كرامتها.
ذهبت فقط لأن قلبها لم يستطع أن يفعل غير ذلك.
وبينما كانت تضع الطعام أمامه، نظرت إليه للحظات، ثم أخفت عينيها سريعًا.
كانت سنوات الغياب كلها تختصر في تلك اللحظة.

سنوات من الحب الصامت، والدعاء، والاشتياق، والابتعاد... وفي النهاية، حين احتاج إليها، وجدت نفسها إلى جواره دون تردد.
وربما كان هذا هو أكثر ما أخافها...
أنها، رغم كل شيء، لم تتغير.
فهي ما زالت تحبه، وما زال هو، دون أن يدري، العالم الذي لم تستطع رينا أن تعيش فيه من دونه.

لطالما تمنّت رينا كثيرًا أن ترى منزله، أن تدخله، وأن تستنشق رائحة ملابسه. كانت تحتضن ملابسه كثيرًا، وتريد أن تعرف كل ما يحبه، وأن تبقى إلى جواره دائمًا.
تركت عملها في المطعم، ونادرًا ما كانت تعمل على حلقاتها؛ فقد استحوذ الكابتن على كل وقتها وتفكيرها وحياتها. وظلت إلى جواره حتى شُفي تمامًا، بل أصبح أفضل من ذي قبل. كانت تقضي يومها كله معه، ولا تتركه إلا حين يحين وقت المبيت.
كان هناك فرق شاسع بين الإنسان وهو في عمله، حين يسأل عنه الجميع ويحتاجون إليه، وبين حاله بعد المعاش، حين يتصرف الناس وكأنهم لم يعرفوه يومًا. ما أقسى هذه الوحدة! وما أصعب أن يكتشف الإنسان فجأة أنه لم يعد حاضرًا في حياة الآخرين كما كان.

كانت رينا تتأمل ذلك كثيرًا، وتقول في نفسها: كيف يعيش الناس في هذه المرحلة، بهذه الوحدة، وبهذه الشخصية التي اعتادوا أن يكونوا عليها؟ حقًا، ما دمنا في هذه الدنيا، فلن نتوقف عن التعلّم.

ومع كل ذلك، لم تكن رينا تريد أحدًا سواه.

والحمد لله، كانت إلى جواره، تحبه، وتطمئن لوجوده، لكنها أمامه كانت شخصًا آخر تمامًا.

كانت تشتاق إليه بشدة وهي في البيت، وحين تجلس أمامه تتعمد أن تبدو طبيعية، هادئة، وكأن شيئًا لا يشغل قلبها.

كانت تتصنع الجفاف في حديثها، والقوة في ردودها، وتختار كلماتها بعناية، وتفعل كل ما تستطيع حتى لا يظهر أمامه شيء من حقيقة مشاعرها.

لكنها تعبت.

أرهقها التصنع والإخفاء، وأتعبها أن تضطر طوال الوقت إلى السيطرة على قلبها، وكأن الحب خطأ يجب أن تخفيه.

كانت أحيانًا تلتمس له العذر؛ فكيف له أن يرى عكس ما تشعر به؟ وكيف يمكنه أن يعرف حقيقتها وهي تتعامل معه بعكس ما يمليه عليها قلبها؟

ومع ذلك، كان قلبها يخونها أحيانًا.

فمجرد أن تتذكر الأيام التي مرض فيها، والخوف الذي عاشته وهي تراه متعبًا، كانت كل الأقنعة تسقط دفعة واحدة.

في ذلك اليوم، كان الكابتن جالسًا، وفجأة لاحظت رينا أن وجهه قد تغيّر.
اقتربت منه بسرعة، وقد تسلل القلق إلى عينيها.
ـــ كابتن، إنت كويس؟
نظر إليها للحظة، ثم قال بصوت هادئ:
ـــ حاسس بدوخة.
اتسعت عيناها، وامتلأتا بالدموع. ارتجفت يداها وهي تسأله بصوت حاولت أن تجعله ثابتًا، لكنه خانها:
ـــ نروح المستشفى؟
هز رأسه قائلًا:
ـــ لأ، لأ... حابب أرتاح بس.
ساعدته رينا حتى وصل إلى السرير، وأجلسته برفق، ثم بدأت تتحايل عليه كي يشرب بعض العصير.
ـــ اشرب شوية بس، عشان خاطري.
تناول الكوب منها، بينما كانت هي تراقبه بقلق شديد.
لكنها لم تستطع الصمود طويلًا.
نزلت دموعها دون إذن منها، وحاولت أن تمسحها سريعًا قبل أن يلاحظها، إلا أن قلبها كان قد سبقها، ولم يعد قادرًا على التظاهر بالقوة.
لاحظ الكابتن ذلك، فنظر إليها وقال مطمئنًا:
ـــ رينا، أنا كويس. إمبارح حصل معايا كده برضه.
رفعت عينيها إليه بسرعة، وسألته بقلق:

ـــ إمتى ده؟
ـــ بعد ما مشيتي، وأنا رايح الحمام... دوخت أوي. بس الحمد لله، شوية ومشيت.
تنفست رينا ببطء، وكأنها كانت تحبس أنفاسها منذ لحظة أن أخبرها بأنه يشعر بالدوار.
ـــ الحمد لله.
قالتها بصوت خافت، ثم جلست إلى جواره.
وحين شعرت بالبرد، مدّ الكابتن يده وربت على يدها، ثم أمسكها محاولًا أن يطمئنها.
توقفت أنفاسها للحظة.
نظر إلى عينيها البنيتين طويلًا، وكأن عينيه كانتا تحاولان أن تفهما شيئًا لم تستطع هي أن تقوله.
ارتبكت رينا وخجلت، وسحبت يدها برفق، ثم قالت محاولة الهروب من نظراته:
ـــ أنا هقوم أغسل الكوباية... وأعمل لك حاجة تانية.
ابتسم بهدوء وقال:
ـــ لا، شكرًا يا رينا. هرتاح شوية.
ابتلعت ريقها وقالت:
ـــ اتفضل.
ثم قامت وجلست في الصالة، بعيدًا عنه قليلًا، حتى لا يلاحظ الكابتن ارتباكها وخوفها وخجلها.

أمسكت هاتفها وبدأت تقلب فيه بلا هدف، تتظاهر بالانشغال، بينما عقلها وقلبها وكل ما فيها كان هناك... عند الكابتن.
كانت تتمنى، في أعماقها، أن تكون زوجته، أن تحمل اسمه، وأن تبقى إلى جواره دائمًا. كانت تتمنى أن يصبح وجودها في حياته أمرًا طبيعيًا لا يحتاج إلى تبرير، وأن تستطيع أن تخاف عليه أمامه دون أن تخجل من خوفها، وأن تحبه دون أن تضطر إلى إخفاء ذلك الحب.
لكنها كانت تخشى أن يكتشف حقيقتها.
لذلك كانت تكرر أمامه دائمًا:
ـــ إحنا صحاب، ومفيش أي تعب... وتحت أمرك في أي وقت.
كانت تقولها أمامه وكأنها جملةٌ عابرة لا تحمل شيئًا، بينما كان قلبها في الحقيقة ينزف ألمًا بصمت.
فهي لم تكن تريد أن تمنحه فرصة ليفكر في مدى خوفها عليه، أو أن يشك في حقيقة مشاعرها تجاهه.
كانت تريد أن يصدق أنها مجرد صديقة.
بينما الحقيقة أن قلبها كان قد اختاره منذ زمن طويل... ولم يعد يعرف طريقًا سواه
لم يكن الكابتن، فيما يبدو، يريد الزواج، رغم كل ما يمتلكه من مؤهلات وإمكانات تجعل منه حلمًا لأي شاب أن يكون مثله، وحلمًا لأي فتاة أن تكون زوجة له.

أما رينا، فلم تكن تريد من كل ذلك شيئًا سوى أن تظل إلى جواره دائمًا.
لكنها كانت تسأل نفسها كثيرًا: ما الذي يجعلني أظل معه؟
هل لأنني أحبه؟
ثم كان عقلها يعود ليذكرها بكرامتها، فتقول لنفسها بحزم: كفى.
وبالفعل، حاولت أن تتراجع قليلًا. كانت تطمئن عليه من خلال المكالمات، وتسأل عنه باستمرار، ولكن خففت كثرة التردد على منزله. وأحيانًا، حين يشتد بها الشوق أو يقلقها عليه شيء، كانت تذهب إليه بنفسها، وكأن قلبها لا يعرف كيف يبتعد عنه مهما حاول عقلها.
وكانت هناك كلمات صغيرة منه لا تستطيع نسيانها.
في إحدى المرات، كانت رينا تستعد للذهاب إلى المطبخ لتجهيز العشاء، فقالت له:
— خلي الفون معاك، يمكن حد يرن عليك عشان أنا رايحة أجهز العشا.
نظر إليها الكابتن بنظرة شابها حزن عميق، وقال:
— ومين هيرن عليّا؟ ما خلاص... طلعت معاش، ودلوقتي تعبان، فمين اللي هيحتاجني؟
توقفت رينا للحظة.
لم تكن تتوقع أن تسمع منه هذه الجملة.

كان صوته يحمل شيئًا أثقل من مجرد الحزن؛ كان يحمل شعور رجل اعتاد أن يكون مطلوبًا، أن يسأل عنه الناس، وأن يجد من يحتاج إلى وجوده، ثم وجد نفسه فجأة يتساءل: من بقي؟

تابع بصوت خافت:

— دلوقتي اللي بيسألوا عليّا اللي بيحبوني، أو اللي بيفتكروني بجد... صفصفت بقى، زي ما بيقولوا.

شعرت رينا بوخزة في قلبها.

لم تحتمل أن تراه بهذه الصورة، ولا أن يسمع نفسه وكأنه أصبح بلا قيمة لمجرد أن ظروف حياته تغيّرت.

اقتربت منه، وكانت الدموع محبوسة في عينيها، ثم قالت بصوت دافئ، يحمل كل ما أرادت أن تخفيه عنه:

— بالعكس يا كابتن... دي فترة الناس الحقيقية. الناس اللي إنت غالي عندهم بجد، هما اللي قاعدين معاك مهما ظروفك اتغيرت.

صمتت لحظة، ثم تابعت بابتسامة حزينة:

— إنت بتغلى عندهم كل يوم أكتر. ودي أحسن وأنقى وأفضل فترة بجد... محبة صافية خالصة، من غير مصلحة، ولا كذب، ولا رياء، ولا أي حاجة. حب خام... ناس بتحبك عشان إنت، مش عشان حاجة عندك.

ظل الكابتن صامتًا.

كانت كلماتها تصل إلى مكان عميق داخله، مكان ربما لم يقترب منه أحد منذ وقت طويل.
وبعد لحظات، قال بهدوء:
ـــ صحيح... والحمد لله ربنا بعتك ليا.
ارتجف قلب رينا فرحًا.
كلمات قليلة جدًا، لكنها بالنسبة إليها كانت أثقل من اعتراف طويل.
شعرت بالسعادة تتسلل إلى قلبها، وكادت عيناها تفضحانها، لكنها أسرعت بإخفاء ابتسامتها.
ثم تذكرت.
تذكرت كلامه عنها حين وصفها بأنها متقلبة، وتذكرت أنه حكى عن ذلك لفتاتين، وأن الكلام وصل إليها في النهاية.
وفجأة، انتصر عقلها على قلبها.
لم تسمح لتلك اللحظة أن تكشف شيئًا مما تخفيه.
رفعت عينيها إليه، وقالت بنبرة حاولت أن تجعلها عادية قدر استطاعتها:
ـــ إحنا صحاب يا كابتن.
ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة، وكأنها أرادت أن تؤكد لنفسها قبله أن الأمر لا يتجاوز الصداقة.
وقبل أن يمنحها فرصة لقراءة ما في عينيه، قالت بسرعة:
ـــ أنا أتاخرت وسوري مضطرة استأذن.
ثم استأذنت وغادرت.

لكن خطواتها لم تكن تشبه قلبها.
كانت تحاول أن تبدو هادئة، بينما كانت الكلمات القليلة التي قالها لا تزال تتردد في داخلها:
-الحمد لله ربنا بعتك ليا.
كم تمنت لو أنه يعرف كم كانت تلك الجملة تعني لها.
وكم تمنت، في سرها، ألا تكون مجرد صديقة أرسلها الله إليه في وقت وحدته...
بل امرأة اختارها قلبه لتبقى إلى جواره إلى الأبد.
وظلت رينا إلى جوار الكابتن، ولم تتركه مطلقًا، وظلت تسانده وتعتني به حتى استعاد عافيته كاملة، وعاد إلى حياته من جديد، بل أصبح أفضل من ذي قبل، أكثر قوةً وثباتًا.

الفصل السادس عشر
ورنَّ هاتف رينا، فالتقطته سريعًا، وجاءها صوت أختها رنا من الطرف الآخر:
— رينا، إزيك؟ وحشاني.
ابتسمت رينا، وقالت بحب:
— وإنتِ كمان وحشاني... وحشاني أوي.
ضحكت رنا وقالت بحماس واضح:
— بصي بقى، إحنا حددنا معاد الفرح، والدعوة عامة بقى، ولازم تيجي. لازم تحضري. كفاية الخطوبة، وإنتِ وعدتيني إنك هتيجي الفرح. فين حبك لأختك؟

ارتفع صوت رينا بالفرحة:
ـــ ألف ألف مليون مبروك يا قلب أختك! وأنا حقيقي قصرت معاكي كتير، وأكيد هاجي.
ـــ إمتى؟
ـــ آخر الأسبوع.
ـــ تمام، آخر الأسبوع هكون عندك .
قالت رنا بدهشة:
ـــ إيه ده يا رينا؟ إنتِ تاعبة نفسك وهتيجي على الفرح؟ ده بدل ما تقولي: «هآجي في أسرع طيارة عشان أساعد أختي بنفسي!»
شعرت رينا بوخزة في قلبها، لأنها أدركت أنها بالفعل قصرت كثيرًا في حق أختها، وأن انشغالها بالكابتن جعلها تبتعد عن أشياء كثيرة في حياتها.
فقالت بحسم:
ـــ بكرة هكون عندك.
ضحكت رنا وقالت:
ـــ قلب رنا إنتِ!
ـــ قلب رينا يا رنا.
ـــ هشوفك بكرة.
ـــ أكيد. تيجي بالسلامة يا قلبي.
ـــ يلا بقى أسيبك تحجزي وتعالي.
ـــ حاضر. باي.

ـــ باي.
وبالفعل، حجزت رينا أول رحلة مناسبة، وذهبت إلى مصر لتكون إلى جوار أختها في يوم زفافها.
كانت سعيدة من أجل رنا، وحاولت أن تعيش معها تفاصيل اليوم كما ينبغي، وتنسى كل شيء آخر ولو لساعات.
وفي أثناء ذلك، ظل هاتفها يهتز بالرسائل والمكالمات.
كان الكابتن يرسل إليها ويسأل عنها.
لكن رينا لم تكن تتوقع أن يهتم بالسؤال عنها إلى هذه الدرجة، خصوصًا أنها تعرف طباعه، وتعرف أن عمله كطيار جعله معتادًا على الانشغال والتنقل، ولم تتخيل أنه سيبحث عنها.
انشغلت مع أهلها وأختها، والتقطت الصور معهم، وشاركت رنا فرحتها، حتى جاء الوقت الذي أمسكت فيه هاتفها.
توقفت فجأة.
وجدت الكثير من الرسائل والمكالمات الفائتة.
تسارعت دقات قلبها، وكتبت له بسرعة:
ـــ أنا آسفة، لسه ماسكة الفون وكان صامت؟
وفي داخلها قالت بحسرة:
لو كنت أعرف إنك هتبعت لي كل الرسائل دي، كنت سيبت كل حاجة وقعدت جنب الفون مستنياك.
لم تمر لحظات حتى رن هاتفها.
ابتعدت رينا عن الجميع، ودخلت غرفتها، ثم أجابت.

ـــ رينا، إزيك؟
ـــ الحمد لله... إنت يا كابتن عامل إيه دلوقتي؟
توقف لحظة، ثم سألها:
ـــ إيه صوت الدوشة دي؟
ـــ ده فرح رنا، أختي.
سكت لحظة، ثم قال بدهشة:
ـــ إنتِ فين؟ في مصر؟
ـــ آه.
ـــ يعني من كام يوم كنتي عندي، يعني كنتِ حاجزة من زمان ولا حيبالي سيرة؟
أجابته بهدوء:
ـــ لا، حجزت مستعجل ونزلت.
ساد الصمت بينهما.
ثم قال الكابتن بصوت تغيرت نبرته:
ـــ عمومًا... ده مش جديد عليكي. إنتِ كده، وهتفضلي كده. طبيعتك متقلبة.براحتك وخليكي كده سلام
تجمدت رينا في مكانها.
كأن الكلمات لم تصل إلى أذنها فقط، بل أصابت قلبها مباشرة مثل الرصاص.
ارتعشت يدها، وسقط الهاتف تقريبًا من بين أصابعها، ثم جلست على طرف السرير، تحاول أن تستوعب ما سمعته.
بدأت دموعها تنهمر.

مدت يدها بصعوبة نحو كوب الماء، شربت قليلًا، ثم غسلت وجهها.
وفي لحظات، نسيت كل شيء.
نسيت زينة وجهها، ونسيت ملابسها، ونسيت الفرح، ونسيت أنها جاءت من أجل أختها في يوم انتظرته طويلًا.
لم يبقَ في أذنها سوى كلماته:
«إنتِ كده... طبيعتك متقلبة.»
ثم عادت الكلمات تتردد داخلها :
«ده أسلوبك، ودي شخصيتك، ودي حياتك... وهتعيشي وتموتي كده.»
مر أمام عينيها شريط طويل من الذكريات.
مواقف الحب.
أيام مرضه.
خوفها عليه.
ساعاتها الطويلة إلى جواره.
كل مرة أخفت فيها مشاعرها حتى لا تثقل عليه.
كل كلمة قالتها له وهي تقصد عكسها.
وتذكرت الفتاتين، وكل ما وصل إليها من كلامه عنها.
وضعت يدها على صدرها، وقالت وسط دموعها:
ـــ أنا كنت معاك بوقتي وقلبي وعقلي... وكلي ليك. وفي الآخر تتهمني؟ وكمان تحكي عليّا وتطعن فيّا؟
ارتجف صوتها:

ـــ سامحتك... سامحتك على حاجات كتير. وفي الآخر تتهمني بكده برضه؟
ثم أغمضت عينيها، وكأنها تتلقى حكمًا نهائيًا على كل ما قدمته.
ـــ ده آخر حبي ليك...
لم تستطع إكمال الجملة.
دخلت والدتها الغرفة، وما إن رأت وجهها حتى أسرعت إليها:
ـــ رينا، مالك؟ فيكي إيه؟
مسحت رينا دموعها سريعًا، وحاولت أن تبتسم:
ـــ مفيش يا حاجة... ده شوية صداع بس.
اقتربت منها والدتها بحنان:
ـــ طيب خدي البرشام يا حبيبتي.
ـــ حاضر.
ناولتها الدواء، فتناولته رينا، ثم جلست والدتها إلى جوارها قليلًا.
ـــ شوية وهتبقي كويسة. شكلك اتعودتي على الهدوء هناك.
أجابتها رينا بصوت خافت:
ـــ آه.
ـــ يلا طيب عشان تطلعي.
ـــ حاضر.
نهضت رينا، وحاولت أن تعود إلى الفرح.

كانت تعرف أن هذا اليوم يخص رنا، وأن أختها انتظرته طويلًا وحلمت به كثيرًا، فلم تشأ أن تفسد عليها فرحتها.
ابتسمت أمام الجميع.
ضحكت حين كان يجب أن تضحك.
التقطت الصور.
باركت لأختها.
وحاولت أن تخفي كل شيء.
لكن قلبها لم يكن معها.
كان في مكان آخر... عند رجل لم يعرف كم أحبته، ولم يعرف كم أرهقها هذا الحب.
وأخيرًا انتهى الفرح.
لكن حزن رينا لم ينتهِ.
بل ازداد.
اشتد عليها الاختناق والتعب، حتى لم تعد قادرة على الاحتمال، فاضطرت أسرتها إلى نقلها إلى المستشفى، حيث أُجريت لها الفحوصات اللازمة وتلقت العلاج.
حاولت رينا أن تستعيد قوتها، وأن تقنع نفسها بأنها قادرة على تجاوز الأمر.
لكن هذه المرة كانت مختلفة.
لقد نفدت طاقتها.
لم يعد لديها ما تخفيه، ولا ما تتحمل به المزيد.

وبينما كانت أسرتها إلى جوارها، كانت رينا تتابع اخباره من خلال فيسه وأصدقائها
وفي يوم من الأيام، علمت أن الكابتن جاء إلى مصر.
شعرت بشيء غريب في قلبها.
ثم انقطعت أخباره.
مرت الأيام ثقيلة.
وبعدها جاء الخبر الذي لم تكن مستعدة لسماعه.
مات الكابتن.
لم تصدق رينا في البداية.
شعرت وكأن العالم توقف فجأة، وكأن شيئًا داخلها قد انطفأ إلى الأبد.
بكت كثيرا وحزنت حزنًا لم تعرفه من قبل، حزنًا لم تجد له اسمًا، ولم تعرف كيف يمكن لقلب أن يحتمله.
ومنذ ذلك اليوم، عاشت على ذكراه.
على صوته.
على كلماته.
على تفاصيله الصغيرة.
وعلى كل لحظة جمعتهما معًا.
كانت ترفع يديها أحيانًا وتقول:
ـــ خدني يا رب... وارحمه.
لم تعد ترى للحياة معنى واضحًا من دونه.
كانت قد أحبته كثيرًا، حتى نسيت نفسها.

عاشت له... لا لنفسها.
أحبته، لكنها لم تتعلم كيف تحب نفسها.
احترمته، لكنها في كثير من الأحيان لم تحترم كرامتها.
وظلت بعدها تفكر طويلًا في كل ما حدث، حتى وصلت إلى حقيقة مؤلمة:
التسامح لا يعني التنازل عن الحق، ولا يعني الحب أن يمحو الإنسان كرامته من أجل من يحب.
فالمسامحة والحب شيء، والتنازل عن النفس شيء آخر.
لكن رينا أدركت ذلك متأخرة.
وظلت أسيرة ذكراه وحبها له، حتى أنهكها الحزن وأتعبها المرض، ورحلت عن الدنيا قبل أن تكمل عامها الأربعين.
رحلت وهي تحمل في قلبها حبًا لم يكتمل، وأسئلة لم تجد لها إجابات، وذكرى رجل أحبته أكثر مما أحبت نفسها.
وربما كانت أقسى حقيقة تعلمتها رينا في النهاية:
أن الإنسان قد يحب أحدهم بكل قلبه...
حتى ينسى أن قلبه هو الآخر يستحق أن يُحَب.